

جامعة بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

صورة المثقف في رواية غرفة الذكريات لبشير مفتي
- أنموذجًا -

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : أدب جزائري

إشراف الأستاذ:
- سعيد شيبان

إعداد الطالبتين:
- صبرينة جودر
- سامية دراجي

السنة الجامعية: 2015 / 2016.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
وَعَجِّلْ فَرَجَهُمْ وَالْعَنِ أَعْدَاءَهُمْ

منتديات نور فاطمة (ع)



اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَعَجِّلْ فَرَجَهُمْ وَالْعَنِ أَعْدَاءَهُمْ

كلمة شكر

باسم الذي زرع النجاح في كل الدروب ، حرس حب العمل في كل القلوب ،
الحمد لله المحبوب الذي وفقنا وسدد خطانا وأزعم علينا بالصحة حتى نلنا
مبتغانا وقطفنا ثمار جهدنا بكل فخر واعتزاز وتواضع وامتنان .

و الصلاة والسلام على خير البرية سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم
البشير النذير خير خلق الله أجمعين وقدوة المؤمنين والمحسنين إذ يدعونا
واجب الاعتراف بالجميل أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المحترم

"سعيد شيبان"

الذي أشرف على تأطيرنا في البحث منذ كان بذرة إلى أن صار ثمرة
صنعتنا توجيهاً القيمة ومساعدته التي لم يبخل بها علينا طوال السنة ،
متمنياً من الله عز وجل أن يحفظه ويرحمه و أن يوفقه في دروب الحياة
مع المزيد من النجاحات المستمرة والمراتب العلى .

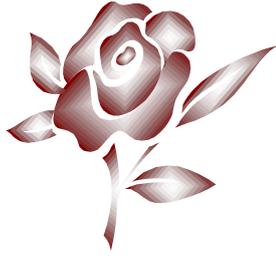
كما نتقدم و إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل

من قريب أو من بعيد و لو بكلمة أو دعاء .

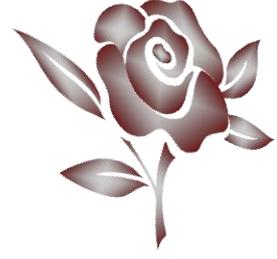
يرشدنا و في الأخير نتمنى من الله عز وجل أن

النبيل . السبيل ويحقق هدفنا إلى سراء

صبرينة - سامية



إهداء



إلى من تحت قدميها الجنة، إليك يا نبع الحنان الذي لا يفنى إلى من تفرحها
بسمتي، و تحزنها دمعتي إلى التي بين يديها بريقا و شعاعا لدربي أهديك عملي
هذا الذي هو نجاحك بعد صبر طويل

" أمي الغالية "

إلى الذي رباني و علمني معني الحياة و غرس في كياني الصبر، إلى مثال
العزة و الأناقة في الحياة، إلى الذي منحني الحرية صفحة بيضاء و خطها
بحروف من ذهب

" أبي عربون المحبة "

إلى شموع عائلتي الذين اثاروا دربي و زرعوا حولي ربيعا عظيما، إلى
أخواتي العزيزات " كاهينة و كريمة " و إلى أخي الغالي الوحيد " أنيس " .

إلى أختي " فوزية " و زوجها " زبير "

إلى أختي الكبيرة " نعيمة " و زوجها " فاتح "

و أبنائها " إيمان ، مامي " و الكتكوتة " إيناس "

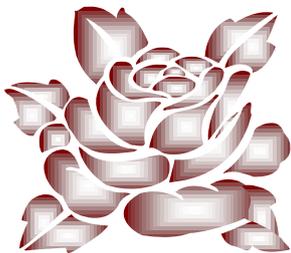
إلى زوجي العزيز " مهدي "

إلى روح جدتي من أبي " طاووس " و إلى جدتي العزيزة " فاطمة "

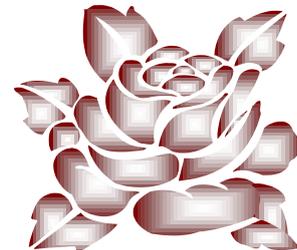
إلى كل صديقاتي، و كل أساتذتي ، إلى كل من هم في قلبي و لم يخطهم قلبي.

أهدي ثمرة جهدي المتمثلة في هذا العمل المتواضع

و لكم أنبل التحيات و أطيبها.



سامية



الإهداء

الحمد لله الذي بعونه تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسوله
الكريم سيدنا وحبينا محمد عليه أزكى الصلاة وأفضل التسليم صلى الله
عليه وسلم
وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

بعدما رست سفينة هذا البحث على شواطئ الختام لا يسعني إلا أن أهدي
ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى التي عجز اللسان عن وصف مآثرها
نحوي إلى المرأة التي غمرتني حبا وحنانا إلى حكاية العمر إلى التي لا
أدري بأي كلام أقابلها أبكلام يسكن في الأرض أم في السماء أبعبارات
الليل أم بعبارات النهار.

إلى.....
.....أمي الغالية.

أهدي ثمرة جهدي إلى ذلك الشخص الذي لم يبخل علي يوما بروحه
وماله ، إلى الشخص الذي يسعد بسعادتي ويحزن بحزني رمز الأبوة
إلى ذلك المقام الراسخ في ذهني وأفكاري.

إلى.....
.....أبي الغالي.

إلى شركائي في عرش أمي وأبي إلى الذين يدخلون القلب بلا استئذان
إلى إخوتي وأخواتي.

إلى أعز الأصدقاء و الزملاء و إلى من يحبهم قلبي ولم يذكرهم قلبي
ولساني وإلى كل من هم في ذاكرتي وليسوا في مذكرتي فالعمل كله
لكم، وإلى كل من تسكنه روح العلم و المعرفة.

صبرينة

مقدمة

مقدمة

تعد فترة التسعينات، مرحلة عسيرة في تاريخ الجزائر من الناحية السياسية و الاجتماعية و الثقافية. و قد انعكست تلك الأوضاع و تلك المحنة على النتاج الأدبي عامة و الروائي خاصة، إذ وجد الكثير من الروائيين في عالم الرواية متنفسا لمعاينة مختلف الظواهر التي كانت تعج بها الساحة آنذاك.

وقد لفت انتباهنا ما كان يواجهه المثقف في تلك الحقبة من رهانات، ففكرنا في انجاز بحث يتقصى صورة المثقف في رواية غرفة الذكريات لروائي الجزائري بشير مفتي.

لقد كان علينا منذ البداية الإجابة عن الكثير من التساؤلات التي تطرحها إشكالية البحث و أهمها:

- إلى أي مدى، تفاعل المثقف مع المستجدات المطروحة على الساحة خلال فترة التسعينات؟
- هل استطاعت الرواية الجزائرية المعاصرة أن ترسب صورة حية عن أدوار المثقفين في العشرية السوداء من تاريخ الجزائر؟

قصد الإجابة عن هذه الأسئلة الإشكالية ارتأينا تقسيم البحث إلى فصلين، ففي الفصل الأول الموسوم بماهية الثقافة و المثقف تطرقنا إلى تعريف المثقف في اللغة و الاصطلاح ثم عرجنا إلى رصد صورة المثقف في الرواية العربية عامة و الجزائر خاصة، كما رصدنا مختلف الفئات التي شكلت النخبة المثقفة داخل المتن الروائي الجزائري، أما الفصل الثاني الموسوم بتجليات المثقف في رواية غلافة الذكريات فقد ركزنا فيه على استظهار تمثلات المثقف في رواية غرفة الذكريات مركزين على تجليات النخبة المثقفة داخل الرواية و أدوار المثقف داخل المؤسسات الاجتماعية مع الإشارة إلى تفاعل المثقفين إيجابياً أو سلبياً حيال مختلف مؤسسات المجتمع.

و قد آثرنا اتباع المنهج الوصفي التحليلي إذ كنا ننطلق من الرواية قصد رصد الظواهر المدروسة، كما أن طبيعة الموضوع سمحت لنا الإفادة من المنهج الموضوعاتي خاصة في تصنيف أنواع المثقفين داخل الرواية. و لا نخفي أننا واجهنا عدة صعوبات أهمها قلة المراجع التي عاينت صورة المثقف في الرواية الجزائرية ما عدا إشارات خاطفة في بعض الكتب النقدية هنا و هناك. وفي الختام نرجو أننا أجبنا و لو نسبياً على بعض الأسئلة العالقة بخصوص تفاعل المثقف مع أحداث الراهن، آمليين أن يأتي باحثون ليتداركوا ما في هذا العمل من نقائص.

و على هذا الأساس لا يسعنا سوى أن نتوجه بالشكر الجزيل و العرفان للأستاذ المشرف شيبان سعيد على ما قدمه لنا من توجيهات و نصائح مهمة ساعدتنا على استكمال بحثنا هذا، كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل المتواضع.

المدخل

إشكالية المثقف عند الغرب و العرب

مدخل

ند الغرب و العرب إشكالية المثقف ع

تُعد الرواية شكل من أشكال التاريخ لاسيما التي تنتج من الواقع، فمن خلالها نستطيع استناد مميزات و خصائص فترات زمنية محددة من حياة الشعب، فهي المتنافس الرئيسي للكاتب، خاصة في فترة التسعينات التي تعج بمشاكل سياسية و اجتماعية و ثقافية.

لقد مكنت تلك الحقبة من ظهور عدة مثقفين تطرقوا إلى مختلف القضايا التي شاهدها هذه الفترة، وأصبح هذا الواقع المرير، هاجسًا يؤرق أفكار المثقف وطموحاته وسببًا في ثورته ضد كل أشكال العنف والأوضاع المزرية، متجاوزًا كل العقبات والمخاطر، التي كانت تحرق به، وقد ثار بالأخص على السياسة و الدين واضعًا هدفًا واحدًا أمامه، و هو فضح الأنظمة السياسية التي تقف وراء هذا الوضع المهين الذي آل إليه حال المواطن الجزائري.

و قبل الخوض في هذا الموضوع، يجب التعرف أولاً على ماهية المثقف و مفهومه. من الصعب تحديد هوية المثقف بشكل دقيق بسبب تباين مفهومه من لغة إلى أخرى و اختلاط هذا الحقل المفهومي، بغيره من المفاهيم المتداخلة معه و لذلك " يختلف الباحثون حول تعريف المثقف و لا يكاد ينعقد اتفاق حول هذا المعنى"⁽¹⁾ و هذا يعود أيضا إلى إحاطته بغموض كثير، إلا أن قضية المثقف مازالت تطرح نفسها بشدة.

لهذا فيمكن إعادة نشأة مصطلح المثقف ومفهومه إلى انفجار قضية دريفوس، التي ظهرت بفرنسا. ففي الثاني و العشرين من شهر ديسمبر سنة 1893م، أذانت إحدى المحاكم الفرنسية بتهمة تسرب معلومات عسكرية إلى ألمانيا العدو التفكيكية لفرنسا.

(1) عبد الحليم الزيات: المثقفون المصريون بين جدليات النشأة وإشكالية الفعل، مجلة الوحد، العدد 66 مارس 1990، ص 147.

و قد بدت القضية في الوهلة الأولى قضية تجسس و خيانة، استحق مقترفها الإهانة أمام الملأ و النفي إلى إحدى الجزر الغابرة.

و في هذا الصدد، نجد هناك كثرة النقاش و تعدد وجهات النظر، حول مصطلح المثقف، فظهرت هناك عدة تعاريف مقارنة من المفهوم الدقيق لهذا المصطلح، و أول تعريف نجده تعرض لمفهوم المثقف بشكل واضح، هو تعريف المفكر الإيطالي "أنطونيو جراميشي" في كتابه "دفاتر السجن" حيث ميز جراميشي بين المثقف التقليدي، و هو الذي يواصل فعل الأشياء نفسها من جيل إلى جيل مثل المدرس و الكاهن و الموظف و المثقف العضوي و هو صاحب العقل و المفكر المرتبط بصورة مباشرة، بالطبقات أو المشاريع ذات المصالح المحددة، و التي توظف المثقف لتنظيم مصالحه أو في احكام السيطرة و المزيد من السلطة، و أدرج جراميشي ضمن هذه الفئة، التقني و الخبير و المتخصص"⁽¹⁾.

و باختصار يمكن القول أن المثقف العضوي عند جراميشي، متورط بصورة فاعلة في المجتمع، كما أنه يكافح أيضا لتغيير العقول و الأفكار، و المثقفون حسب رؤيته يمارسون دورًا حيويًا، و مهما في تكوين و بناء الأيديولوجيا، و في تدعيم الموافقة أو القبول.

إضافة إلى هذا، نجده يعرف المثقف رافضًا تصور النشاط الفكري أو الذهني كمسألة أو خاصية متأهلة لطبقة اجتماعية بعينها، فعنده العمل اليدوي لا يخلو من الفكر و العمل الذهني لا يخلو من الجهد العضلي، و أن خاصية أعمال الذهن، يشترك فيها كل أفراد المجتمع، و يعبر عن ذلك بقوله المأثور " إن كل الأفراد مثقفون في نظري.... و لكن لكل الأفراد وظيفة في المجتمع"⁽²⁾.

في هذا السياق نجد أن الإنسان المثقف في نظر جراميشي، هو الذي يملك رؤية إلى العالم، تمكنه في أن يساهم في الثقافة السائدة في المجتمع.

(1) هويدا صالح: صورة المثقف في الرواية الجديدة، رؤية لنشر والتوزيع القاهرة، ط 1، 2013، ص 21.

(2) المرجع نفسه، ص 22

ينسب - تاريخيا - إلى الحقبة التي تسبق ولادة هذه الطبقة الجديدة، مما يدفع المثقفين التقليديين، إلى اعتبار أنفسهم فئة قائمة بذاتها.

وكما أن النموذج التقليدي للمثقف، مختلف عن النموذج العضوي، وهذا يكمن في أن المثقفين التقليديين، نجدهم يربطون الماضي بالحاضر كعملية مستمرة تاريخياً، بينما يقدم مثقفوا النموذج العضوي أفكار تضع حداً فاصلاً بين الماضي والحاضر⁽¹⁾.

نلخص مما سبق إلى أن كل إنسان مثقف وإن اختلفت مستويات ودلالات ثقافته، لقد قدم لنا تعريف آخر "كل من يمارس عملاً تربوياً ثقافياً أخلاقياً"⁽²⁾، يحيلنا هذا التعريف إلى أن المثقف عند جراميشي أيضاً مرتبط بالأخلاق.

إلى جانب هذا نجد الفيلسوف الفرنسي "جان بول سارتر" الذي يعرف المثقف على أنه "ذلك الإنسان الذي يدرك ويعي التعارض القائم فيه وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العلمية {...} وبين الأيديولوجيا السائدة"⁽³⁾، يعد المثقف في نظر سارتر، المدرك الوحيد الذي بإمكانه التمييز بين حقيقة الأمور السائدة في المجتمع، إضافة إلى هذا يضع سارتر مثلاً لتوضيح مفهوم المثقف بقوله: "أن صفة (المثقف) لا تطلق على علماء يعملون في حقل انشطار الذرة لتطوير أسلحة الحرب الذرية و تحسناً فهم محض علماء، محض علماء، لا أكثر و لا أقل، و لكن إذا ما انتاب هؤلاء العلماء الذعر لما تتطوي عليه الأسلحة التي تصنع بفضل جهودهم و أبحاثهم من طاقة تدميرية فاجتهدوا ووقعوا بياناً لتحذير الرأي العام من استخدام القنبلة الذرية، غدوا من فورهم مثقفين، و ذلك بالفعل لأنهم: أولاً- تجاوزوا صلاحيتهم على اعتبار أن صنع قنبلة شيء و الحكم على استعمالها شيء آخر، ثانياً - استغلوا شهرتهم أو الصلاحية المعطاة لهم ليتحدوا على الرأي العام"⁽⁴⁾، هذا ما أوقعه في تناقض في قوله الآخر: إذ يقول "أما عندنا فالتبشير

(1) ينظر: هويدا صالح: المرجع السابق، ص 25-26.

(2) سعاد حمدون: صورة المثقف في رواية بشير مفتي: مذكرة متطلبات شهادة الماجستير، جامعة قصدي مرباح ورقلة، 2008/2009 ص 10.

(3) جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين: تر، جورج طربشي، منشورات دار الأدب، بيروت، ط 1: 1973، ص 33.

(4) جان بول سارتر: مرجع سابق، ص 12-13.

قائم على قدم وساق بموتهم فنجد تأثير أفكار أمريكية تطلق التكهنات بزوال هؤلاء الناس الذين يدعون معرفة كل شيء وتتنبأ باضمحلالهم، لأن تقدم العلم سيفضي لا محالة، إلى الاستغناء عن هؤلاء الموسوعيين المزعومين بفرق من الباحثين المتخصصين صارم التخصص⁽¹⁾

ففي المثال الأول جعل معيار وصف المثقف بهذه الصفة هو الوعي و الدفاع عن القيم الإنسانية أما في الثانية فجعله موسوعته العلمية، مما لا ينبغي من الناحية الأكاديمية أن يكون للمؤلف محض تأكيد على حقيقة التي مفادها أن المثقفين قد لعبوا دوراً هاماً وكثير من الأحوال دوراً حاسماً في الحياة السياسية للعالم المعاصر، بل أكثر من ذلك، إذ أن هذا المؤلف يري أن المثقفين -كاسم- قد ظهر من خلال التناقضات التي هزت الأسس السياسية لقرن التاسع عشر في فرنسا.

و هذا الاسم، قد استخدم بصفة أساسية خلال هؤلاء الأشخاص الذين كانوا ينادون بالحقوق السياسية، كما أنه قد تخلق من خلال أدباء فرنسا الذين قادوا تلك الحركة، التي استهدفت تحرير الوظائف الأدبية و الكتابية، وهي الحركة التي كانت ترمي أساساً إلى الحد من سيادة النزعة العسكرية، وقد وجه ذلك أساساً ضد المحاولة التي قادها دريفوس عام 1894م⁽²⁾.

و هناك مصطلح، لا يمكن تجاهله عند الحديث عن المثقف، ويعني به المصطلح الانتلجيني، الذي يستخدم للإشارة إلى النخبة المثقفة، والمتميزة بميول نقدية نحو الحالة الراهنة، و الانتلجيني كلفة بولندية، مشتقة من الأصل اللاتيني intellogens، وهي تشير للمثقف الذي له موقف مناقض من النظام، ناقد له، وقد ساوى بعض المفكرين مفهوم المثقف ومفهوم الانتلجيني، و رفض البعض الآخر أن يكون المفهوم مترادفين⁽³⁾.

(1) جان بول سارتر: المرجع نفسه، ص 11.

(2) ينظر، روبرت بريم: المثقفون والسياسة، تر، د. عاطف أحمد فؤاد، دار المعارف، ط1 القاهرة، 1985م، ص 29-35.

(3) هويدا صالح: صورة المثقف في الرواية الجديدة، ص 55.

على هذا الأساس نجد تعريفات أخرى لهذا المفهوم، فظهوره مرتبط أيضاً بأوروبا الشرقية القيصرية، وذلك في منتصف القرن الماضي، وهو مصطلح يشير إلى هؤلاء المفكرين الذين يعنون أساساً بنقد السلطة القائمة، ويلعبون أدواراً رئيسية في الحركات الثورية.

و ينبغي أن ننتبه إلى أنه ليس بالضرورة، أن يكون المثقفين راديكاليين، أو أن يكونوا وحدهم من ذوي الميول اليسارية، و لكن من المؤكد أن أكثر الكتاب، يستخدمون اصطلاح "المثقفين - intellectuels" و "الانتلجنسيا - intelligentsia" باعتبارهما يعذبان تلك الفئة من المفكرين ذي النزعة النقدية والتقدمية، الذين يتخذون موقف الاغتراب والانفصال عن المجتمع.

و إذا كان البعض يرى أن المثقفين، فئة تقف من المجتمع، موقفاً نقدياً انفصالياً، إلا أن هذه الرؤية تواجه بمشكلة تصويرية التحقق بكيفية تفسير اختلاف الرؤى السياسية للمثقفين

إلا أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل يجرنا إلى طرح سؤال: هل انحسار الشك عن الانتلجنسيا يحفز البعض على أن تتولى هذه الفئة المناصب المناسبة؟ و إن قضية تولى الانتلجنسيا للمناصب، سوف تتم بالوضوح - فيما أظن - فقط عندما يتجاهل الإنسان، مسألة السيطرة على المصادر والتحكم فيها (المقصود بالمصادر هنا: المصادر الفيزيقية القهرية و المادية الاقتصادية و المعيارية، و التي تعمل على خلق حالة الصراع بين المثقفين كمعارضة و السلطة - المترجم-) (1).

هكذا فإن مصطلح الانتلجنسيا، لقد نما مفهومه الخاص بأهمية الذات Self-importance و الذي انتقل من العمال إلى الجماعة المتعلمة، وهكذا فلقد ازدهرت، كل من راديكالية الانتلجنسيا والثقة بالنفس، وبصورة دقيقة في نفس اللحظة التي انهارت فيها

(1) عاطف أحمد فؤاد: المثقفون و السياسة، دار المعارف ابن خلدون ط1، القاهرة، 1980 ص 67

الحركة العمالية و بعبارة أخرى، لم تكن الانتلجيسيا على صلة بالعمال (كما طرح لينين عام 1895م، بل لقد اتصل عدد محدود من أكثر العمال تطورًا الانتلجيسيا ولقد قدم لينين تفسيرًا لتلك الظاهرة مأواه: " أن كلا المركزين (يعني المثقفين و العمال -المترجم-) يمارسان أقصى سلطاتهما على الحرب - يقول أحد أولئك الذين تحملوا مسؤولية هامة في محاكمته بتاريخ 03 ديسمبر سنة 1879م في جمع عام " ليس هناك قضية اسمها قضية دريفوس⁽¹⁾ إلا أن تعقد الوضع الاجتماعي الفرنسي، آنذاك من جهة، و غياب أدلة كافية تثبت تورط هذا القبطان ذي الأصل اليهودي، من جهة ثانية، كذب تكذيبًا قاطعًا هذا التصريح المطمئن، و جعل هذه المحاكمة، تتحول إلى قتل، أو قضية سياسية كبرى عصفت بالحياة الاجتماعية و السياسية الفرنسية، و بالجمهورية الثالثة، ما يزيد عن عشر سنوات، و قسمت الشعب الفرنسي، و نخبته المثقفة إلى مناصر لدريفوس و معادله.

و لكن هذا لا يعني أن هذا المفهوم لم يكن من قبل ، إلا أننا نجد أن كل الأبحاث التاريخية و الاجتماعية، ترد مفهوم المثقف، على أنه مرتبط أساسًا " بقضية دريفوس" إضافة إلى هذه ، نجد قضية سقراط و قضية فولتير اللتان ساهمتا في تبلور هذا المصطلح، فهاتين القضيتين تحملان دلالة هامة، في هذا الصدد و تقدمان نموذجًا واضحًا، عن مفهوم المفكر و الفيلسوف، أو رجل الآداب الذي تشغله همومه المعرفية و تأملاته عن مفهوم الاهتمام بشؤون المدنية، النزول إلى الساحة العمومية، صاعدًا باسم "الحق" و "العدل" و "الخير" و مدافعًا عن القيم الإنسانية، العامة المجردة التي يلخصها شيشرون في "حب النوع البشري".

و من جهة أخرى نجد افلاطون، لخص قضية سقراط، بحيث أنه، كان يظن أن النظام الجديد سوف يضع حكم العدل، مكان حكم الجوار، مما أدى به، إلى تكريس انتباهه من اجل رؤية ما يفعله إلا أن الأمر لم يكن كذلك، إلا أن السادة في وقت قصير جدًا، قد جعلوا الديمقراطية التي حطموها نبد وكأنها العهد الذهبي، مما أدى بهم، إلى حد قد أمروا فيه، سقراط أن يشترط في القبض على مواطن كانوا يريدون ازاحته عن طريقهم وهم كانوا

(1) ينظر: عاطف أحمد فؤاد: المثقفون و السياسة، ص 91-98.

يبيغون من وراء ذلك، اشتراك سقراط في أعمال النظام الجديد، أراد أو لم يدرك هو بذلك، إلا أن سقراط رفض الخضوع لهذا، قد استعد لمواجهة الموت على أن يصبح أداة لجرائمهم⁽¹⁾.

أما قضية فولتير، أو بالأحرى " قضية كالاس " ، فنتلخص في أنه، في السابع من شهر أكتوبر سنة 1763م، و عند عودة تاجر تولوز البروتسنتي كالاس من عمله و الذي كان وحده و أسرته يعيشان وسط مدينة، ذات أغلبية كاثوليكية مطلقة، اكتشف ابنه مشنوقاً في بيته.

و خوفا من عار القضية و إقدام الكاثوليك على إحراق الابن لمخالفته - بانتحار - تعاليم المسيح ، ادعى الأب أن الأمر يتعلق بجريمة قتل، و سرعان ما دارت الدائرة على كالاس ، فاتهم بقتل ابنه، منعا له من التحول إلى الكاثوليكية ، فحاكمه برلمان تولوز، محاكمة صورية و أعدمه، كما صادر ممتلكاته، إلا أن زوجته و أبناءه، اهتموا بالقضية، و أقنعوا فيلسوفاً كبيراً، مثل فولتير بالدفاع عنها، فكان كتابه "محاولة في التسامح" سنة 1763م صرخة ملتزمة، في المجتمع الفرنسي، أدت إلى إعادة فتح ملف القضية سنة 1765م ببرلمان باريس، الذي أعلن براءة كالاس، و دفع الملك إلى أن يوصي ، بمنح هبة لذويه تعويضاً عما لحق بالأب كالاس من اضطهاد ديني⁽²⁾.

فهاتان القضيتان، اعتبرتا في تاريخ الفكر الغربي، نموذجاً لسلوك المثقف، في طغيان السلطة أو يمكن أيضاً، اعتبار هذا المثقف أنه وليد، قضية اجتماعية و سياسية شهيرة عرفت في تاريخ فرنسا.

أما إذا أخذنا البحث في الالتباسات اللغوية المتعلقة بمفهوم المثقف نجد أن أول من استعمل هذا المصطلح هو لالاند في قاموس الشهير، كما نجد أيضاً أن براشيفيك علق على مفهوم أو كلمة " intellectualisme " ومتحدثاً عن لفظة " intellectuel "

(1) محمد الشيخ: المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي والفرنسي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 15-16

(2) المرجع السابق، ص 15

قائلا: "أتذكر أنني سمعت أستاذاً أولياً لبرون، يستعمل هذه الكلمة حوالي سنة 1890 في مناقشة عابرة، لقد بدت الكلمة آنذاك و كأنها لفظة مولدة" (1) ، إلا أن الكلمة استعملت حينئذ كصفة لا كاسم، وكانت تحيل إلى مذهب L'intellectualisme، غير أن ما جمع بين الصفة و الاسم هو المعنى القدحي الذي اتخذته منذ البداية.

كما أن مفهوم المثقف يحيل إلى جدل و التباس عرف العديد من التعريفات التي تتفق في المضمون وتختلف في الشكل، و قد نجد مجموعة من المفكرين، وضعوا مجموعة من التعاريف تتمايز فيما بينها بحسب الحالة التاريخية، فالمثقف وليد إنتاج فكري يتصدى بأفكاره لكل العوائق التي تعرقل مساره الثقافي و السياسي، كما أن هذا المصطلح ظهر متأخراً عند العرب في القرن 19، بعد ارتباط المجتمع العربي بماضيه و الذي يعني ذلك الشخص الذي بدأ تفكيره انطلاقاً من مثقف سابق يقوم بتقليده أو السير على منواله أو يعارضه في الرأي، " ليس هناك مثقف يبدئ من نقطة الصفر" (2) ما يعني أن المثقف يقوم بالتفكير في أفكار الآخرين .

كما يعود بروز المثقفين و التطوير الإيديولوجي الذي رافقه بالنظر إليهما كتعبير عن عملية التعليم و التنوير التي نجمت عن الاتصال المتزايد بأوروبا، و هذا ما أدى إلى ظهور عنصر الطبقة الذي أدى إلى بروز فئات مثقفة مختلفة خاصة بكل طبقة، كما قال GRAMSCI " تحدد نمو فئات المثقفين المختلفة كذلك نمط العلاقات فيما بينهم" (3) و قد قسم المثقفون أنفسهم حسب توجهاتهم سياسية كانت أم ثقافية. فالمثقفون المسيحيون ربطوا أنفسهم بالثقافة الأوروبية و بالقيم البورجوازية الأوروبية، بينما نجد المثقفون المسلمون محافظين كانوا أم علمانيين أم إصلاحيين معارضين للثقافة الأوروبية و السيطرة الأوروبية" (4).

(1) المرجع نفسه ، ص17

(2) محمد عابد الجابري : المثقفون في الحضارة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط2 :كانون الثاني/يناير ، 2000 ، بيروت ، ص6

(3) هشام شرابي: المثقفون العرب و الغرب ، دار النهار ، ط2 ، بيروت ، 1981 ، ص15.

(4) ينظر: المرجع نفسه ص 13

و لا شك أن الواقع العربي الراهن و بالأخص في الحقل الثقافي الفكري ليس بحاجة إلى أداء نخبة مثقفة، التي لها دور كبير في تطوير الواقع العربي، الذي لا يزال يعيش في حروب ومنازعات أدت به إلى صراع ثقافي دائر حوله. و هنا نستحضر مدرستين الأولى، مدرسة ثقافية لا ترى سبيلا للنهوض و التقدم، إلا بالذاتية الثقافية العربية و الإسلامية، والثانية مدرسة ثقافية ترى أن طريق التقدم هو الاندماج في ثقافة الأخر لتكشف مدى ابتعاد الحياة الثقافية العربية عن المقننات العلمية و الموضوعية⁽¹⁾

و في هذا الصدد القضية لم تتوقف عند الغرب فحسب بل تجاوزت ذلك إلى أن أثرت على العرب مما أخذ بهم في البحث فيها، و ذلك اعتمادا على القضية الأساسية التي أدت إلى هذه النشأة ألا و هي قضية دريفوس، و لعل هذه القضية شملت كل أنحاء العالم العربي (مصر، المغرب، فلسطين، الجزائر، سوريا،...إلخ).

و على الرغم من ، إقصاء فئة المثقفين المصريين عن المناصب القيادية أثناء الثورة عام 1954 بقيت مرتبطة بممارسة السلطة، و لكن ذلك التدخل السياسي الذي كان في الفترة السابقة التي عمت فيها الحرية انحصرت في حدود ضيقة فتركت السلطة و اتسعت الحركة الأدبية و الفنية فأدى ذلك الإنتاج الأدبي إلى ازدواج نتائج معقدة أدت بالكتاب إلى الإفراط في هذا المجال باستخدامهم للخطاب السياسي من أجل التحكم في مواقع القيادة، و استثمارهم رصيذا اجتماعيا متزايدا⁽²⁾ إذن هذا الاستقرار السياسي فتح أبواب التغيير و التنفيس لدى النخبة المثقفة من الأدباء لنقل انشغالات المجتمع و إيقاظ الوعي لدى أفراد المجتمع لأجل تغيير مصيرهم .

كما « يعد الإبداع و النقد الأدبي للعديد من المثقفين بديلا أو امتدادا طبيعيا للعمل السياسي »⁽³⁾.

(1) ينظر: المرجع نفسه ص 77

(2) المرجع السابق، ص 13

(3) كاميليا صبيحي: بعض ملامح العلاقة بين الكتاب و السلطة في مصر منذ عام 1952، مجلة النقد

الادبي فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003 ، العدد 61، ص 117

هذا ما يعني أن السلطة هي التي أدت على ظهور المثقف الذي كان يبدع في كتاباتهم و خطاباتهم السياسية لأجل ما أخفته السلطة. و نجد أن المعيار المزدوج الخاص بكل مؤلف في المجالين الأدبي و السياسي الذي فرضته السلطة هو الذي أرغم الكاتب على اللجوء إلى لغة مزدوجة تختلف من حيث الشكل و المضمون. إلا أن الكتاب المصريون تم الحكم عليهم بناء على أعمالهم الأدبية و ليس على خطاباتهم خارج النطاق الأدبي⁽¹⁾

و لا يمكن فهم هذه الأعمال بمعزل عن هذا الخطاب و عن وضع المؤلف و مسيرته في مجال السلطة، و مازالت التحليلات التي تناولت العلاقة بين الأدب و السياسة بعد عام 1954 بعيدة عن هذا المشروع لاستخلاص هوية الكاتب الأدبية و السياسية المزدوجة كما نجد Marina stagh التي قامت بدراسة عمليات القمع التي تعرض لها الكتاب في عهد جمال عبد الناصر و أنوار السادات، و التي لم تعط تعريفا واضحا لهذه الهوية المزدوجة، في حين نجد السلطة شنت حربا ضارية على الكتاب الذين لم يكونوا إلا ضحية من بين الضحايا الأخرى، من بينهم مصطفى عبد الغنى الذي: « ركزت أطروحته على استخدام الكتاب و الصحفيين سياسيا في عهد ناصر يعطي صورة لصفوة مثقفة »⁽²⁾ فالكتاب و الصحفيين أعطوا صورة خاصة للسلطة من خلال كتاباتهم و خطاباتهم الأدبية و السياسية و ذلك أثر عليهم سلبا، و أدى إلى ظهور حرب ضارية ضدهم .

كما نجد سماح إدريس التي درست العلاقة بين المثقفين و السلطة في الأعمال الروائية التي كتبت في عهد ناصر، و لكن دون الربط بينهما، و إن قامت بذلك، فبصورة سطحية و هي توضح العلاقة بين مواقف كتاب هذه الأعمال و مسيرتهم في الوسط الأدبي و السياسي، و لا يزال الحديث عن أثر الناصرية و الحركات الثقافية المصرية مستمرة في مصر و في بعض الأقطار العربية الأخرى .

(1) المرجع نفسه، ص ن

(2) المرجع السابق، ص 118.

كما نجد المؤسسة الناصرية أعطت ثقة كاملة للعسكر المصري، و انعدمت ثقتهم بالمتقفين "فحسين هيكل"، «الناطق الرسمي» باسم الثورة 1954، وواحد من «متقفياها» كذلك يلوم المتقفين على عدم تبني قضية الثورة منذ اندلاعها (1).

كما أن هناك متقفون ساندوا "هيكل" في رأيه، كعبد الملك الاقتصاء، يتهم عودة المتقفين عشية الثورة ب «الانعزالية» و «التفوق على الذات» و «تشتيت الجهود». إلا أن هناك معارضين لرأي هيكل كلويس عوض، و عبد الرزاق عوض، فهما يؤكدان بأن ثورة 1954، لم تأت من فراغ، بل هي حضارة في كتابات المتقفين و برامج الأحزاب السياسية قبل 1952(2).

أما العلاقة التي كانت بين الضباط الأحرار و المتقفين، فقد كانت علاقة غير مستقرة فالكثير من الضباط ابتعدوا عن الحياة الثقافية و السياسية، و اتصلوا اتصالاً وثيقاً بالحياة اليومية.

أما بالنسبة للمتقفين فقد حققوا نجاحاً كبيراً في الثورة، حيث يذهب حمودة إلى القول: «إن المتقفين الانتهازيين كانوا الوحيدون الذين انتقوا دوماً إلى الثورة لأنهم وجدوا في مصلحتهم، العقيدة الوحيدة التي يجب أن تسود...»(3).

إضافة إلى الإساءة التي كان المتقفون يتلقونها من طرف الحكومة في العاميين الأوليين من الثورة التي خلقت جبين الانتلجيسيا المصرية حرجاً يصعب محوه مع الأيام ومن بينهم الصحفيين و المعلمين و المحامين خاصة الجامعيين، حيث تعرضوا لكل أنواع الموت (تعذيباً و إعداماً) و هذه الممارسات قد اتخذها النظام في حق المتقفين و هذا سبب من الأسباب التي تدفع الكتاب إلى الاستمرار في الكتابة عن هذه الممارسات رغم مرور أكثر من واحد و عشرين عاماً على رحيل الرئيس جمال عبد الناصر، «و هم ألمع الكتاب الآن في مصر»(4)

(1) سماح إدريس : المتقف العربي و السلطة، بحث في روايات التجربة المنصرية ، دار الأءاب، ط1، بيروت

1992، ص34

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص ن

(3) المرجع السابق، ص 37.

(4) المرجع نفسه، ص 40.

من بينهم المثقف الماركسي سيف النصر، لويس عوض (أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة و ناقد أدبي و مؤرخ و شاعر)، عبد الرزاق حسن (أستاذ اقتصاد)... إلخ و كل أولئك هم من السجناء، و قد تعرضوا بدورهم للتعذيب و هم: يوسف ادريس، جمال العيطاني، عبد الحكيم قاسم (روائي و ناقد أدبي) و صلاح نصر الذي لقب ب « ملك التعذيب»...⁽¹⁾

كما أن سوء معاملة عبد الناصر للمثقفين قمعاً و تعذيباً في زمن الناصرية تبقى من الأمور المثيرة للجدل إلى يومنا هذا و السبب سياسي محض.

و يؤكد عبد الناصر بأنه لم يختلف مع هؤلاء المثقفين جميعاً بسبب كتاباتهم و آرائهم الفكرية، بل اختلف معهم عندما دخلوا ضده في صراع سياسي مباشر، فبعضهم كان ينتمي إلى الحركة الشيوعية، و البعض الآخر للإخوان المسلمين الذين اصطدموا بجمال عبد الناصر مرتين في سنة 1954 و في سنة 1965، فإن الإخوان كانوا يستعدون للقيام بحركة مسلحة يقتلون فيها جمال عبد الناصر نفسه⁽²⁾.

أما الحديث عن المثقف الفلسطيني و علاقته بالسلطة فقد ظهر بعد قراءته للمشروع الصهيوني الذي هو حديث الولادة، فقبل ظهور هؤلاء المثقفين كان هناك رواد يعتمدون على الكتابة التقليدية أي يعيدون كتابة المكتوب كما لو أنه موروث مقدس، هذا بالمعنى العثماني الذي يساوي الكتابة و تسجيل حاجات السلطة⁽³⁾

فقد أعلنت هذه القراءة عن دور المثقف الطليعي في الكفاح الوطني و عن تقليدية السياسي، بلغة معينة، و تخلف المتزعمين بلغة أخرى، فمن المفترض أن يكون تأمل الصهيونية النظري ملازماً للسياسي الذي يقود فعلاً جماعياً لمواجهة، هذا لم يتحقق لأن السياسي أخطأ القيادة و العمل الوطني، و هو ما أقام بينه و بين المثقف هوة لا سبيل إلى ردمها.

كما يتميز هذا المثقف بارتباط فكري، يأخذ بأدوات تحليل لا متجانسة، و تجلى الارتباك في عجز مزدوج:

(1) نفسه، ص 41.

(2) نفسه، ص 42.

(3) فيصل دراج: دراسات المثقف الفلسطيني و قراءة الصهيونية، ص 109.

عجز نسبي عن تحديد الزمن التاريخي للصهيونية، و عجز نسبي آخر عن وعي الصهيونية في علاقتها كلها، كما يتصف بأولوية الممارسة الوطنية على التحليل النظري. فالمتقف، الذي ركز المبادرة الوطنية و خارج القرار السياسي ما كان ينتظر الوضوح النظري، لينخرط في العمل الوطني⁽¹⁾

كما حاول المثقفون القيام بقراءتين متلازمتين: قراءة صهيونية، و قراءة أحوال المجتمع الفلسطيني العاجز عن الرد عنها، كانت القراءة الأولى تكشف عن وهن المجتمع الفلسطيني، و كانت الثانية تضيء قوة غريبة وافدة من زمن آخر، و كان المتقف، في جدل التحريض و الإحباط يتعامل مع وجود صهيوني تصفحه آثاره المشخصة، و يفتش عن مشخص فلسطيني فاعل، بدءا من حق الفلسطيني في الحياة وصولا إلى القيم العربية التليدة⁽²⁾

قبل الخروج من فلسطين، عمل المثقفون الفلسطينيون، على تحليل الصهيونية كوجود مشخص، يلتقون به و يقاتلونه و يعرفون مظاهر قوته، و بعد الخروج، و لمدة عشرين عاما على الأقل، تحولت الصهيونية إلى فكرة مجردة تنوب في أفكار مجردة أخرى، و بسبب هذا التحول حسم الفلسطيني الصراع، كغيره من العرب، على مستوى الأفكار.

بعد الخروج الكبير، و لمدة عشرين عاما على الأقل، انتهى تعامل الفكر الفلسطيني مع المشخص الصهيوني، و ارتاح إلى إيديولوجية عربية مسيطرة مثلت تقهقرا عن منظور المثقفين الفلسطينيين قبل الخروج.⁽³⁾

ارتاح الفلسطينيون إلى الخطاب التبشيري العربي الذي يذفن الصهيونية في الرمال و يبني فوق أنقاضها المتوهمة وحدة عربية متخيلة، مستقبلا الأكيد هو عودة اللاجئين إلى ديارهم.

(1) المرجع نفسه، ص 112-113

(2) نفسه، ص 122

(3) ينظر المرجع السابق، ص 126-127

الفصل الأول

في ماهية الثقافة و المثقف

- 1- مفهوم الثقافة
- 2- تعريف المثقف
- 3- صورة المثقف في الرواية العربية
- 4- صورة المثقف في الرواية الجزائرية
- 5- أنواع المثقفين

الفصل الأول

في ماهية الثقافة و المثقف

1- مفهوم الثقافة

يعد مفهوم الثقافة من بين المفاهيم المعقدة، التي حظيت باهتمامات المتخصصين بالعلوم المختلفة، ومنها الاجتماعية و التاريخية و الفنية و غيرها، ويعود السبب في ذلك لتعدد مكوناتها من جهة، و كثرة محاولات تحديدها من جهة أخرى، " إذ الثقافة بمعناها الأشمل هي صناعة الحياة، و الاشتغال على الطبيعة، و شكل من أشكال التواصل و التبادل" (1) فهي تلعب دورا هاما في حياة الفرد و تمثل عنصرا بارزا للتواصل و التحاور بين الأجيال و في سبيل الرقي و التطور.

فالثقافة هي " كل ما فيه استنارة للذهن، و تهذيب للذوق، و تنمية لملكة النقد و الحكم لدى الفرد أو المجتمع، تشتمل على المعارف و المعتقدات، و الفن و الأخلاق و جميع القدرات التي يتهم بها الفرد في مجتمعه، و لها طرق و نماذج عملية و فكرية و روحية. و لكل جيل ثقافته استمدتها من الماضي، و أضاف إليها ما أضاف في الحاضر، و هي عنوان المجتمعات البشرية"(2). إن امتلاك الفرد للثقافة تجعله يرتقي إلى فهم و اكتشاف أبعادها النفسية و الاجتماعية الخاصة به، و بالمجتمع عامة.

و هذا ما نلاحظه في تعريفات الثقافة في المعاجم، إذا تتوازن بين الفكر و الأخلاق و نجدتها تارة تعي بالعلوم و المعارف ، و الفنون التي يطلب الحذف فيها و كذلك يتجاوز معناها الجوهرية للأنماط الاجتماعية الخاصة بالفكر و الأخلاق.

(1) علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2004، ص38.

(2) حسين عيد: المثقف العربي المغترب، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999، ص8.

من ناحية الفكر، تساعد على تطوير ملكة النقد أو الوعي لدى الإنسان كفرد و المجتمع كمجموعة، إضافة إلى هذا، فالثقافة البشرية متوارثة جيل عن جيل، أي بين الذهنيات و العقليات القديمة جسر يربطها بالحاضر الذي يتمثل في الثقافة المتوازنة، بكل سماتها و قواعدها، مع ذلك يبقى أن حدث بعض الإضافات (1) .

أما فيما يخص تعريف الثقافة عند الغرب فنجد وولاس Wollas الذي يرى أن الثقافة هي " أساليب السلوك أو أساليب حل المشاكل التي يمكن و صفها بأنها احتمال استخدام أفراد المجتمع لها أكثر لما تتميز به من الأساليب الأخرى من كثرة التواتر و إمكانية المحاكاة"(2). هذا التعريف يرى الثقافة هي عملية تكليف و توائم، تساعد الإنسان بشكل كبير على حل مشكلاته.

أما عند العرب فتجد على سبيل المثال تصور "مالك بن النبي" لمفهوم الثقافة حيث يقول : " تعريف الثقافة بصورة علمية على أنها مجموعة من الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه و الثقافة هي المحيط الذي يشكل الفرد في طباعه و شخصيته، و هذا التعريف الشامل للثقافة، هو الذي يحدد مفهومها، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، و الذي يتحرك في نقاط الإنسان المتحضر"(3)

فالثقافة هي مفهوم محوري يتضمن الأفكار و التصورات الموروثة و العادات و القيم و المواقف السائدة في مجتمع معين، و الاتجاهات العامة المقبولة و المتوقعة التي يتعلمها الفرد من خلال اتصاله بالواقع الاجتماعي و الملاحظ أن مختلف التعاريف تبرز أهمية العقيدة و دور الدين في صنع الثقافة و توجيه سلوك الإنسان.

(1) ينظر : المرجع نفسه ، ص7-8

(2) غياب بوفطة : القيم الثقافية ، دار الغرب للطباعة و النشر ، ط1 ، 1998 ، ص7

(3) مالك بن النبي : مشكلة الثقافة ، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ط4 ، الجزائر ، 1984 ، ص77.

2-تعريف المثقف:

1.2 لغة

عند العودة لمعاجم اللغة العربية لن نجد كلمة "مثقف" إنما نجد كلمة "ثقف" و تأتي بمعنى [حذق]، كما في لسان العرب لابن منظور، ثقف الشيء ثقفا و ثقافا و ثقوفة، حذقه، و رجل ثقف، قوله ، « رجل ثقف »⁽¹⁾ و المثقف مفرد، و جمع مثقفون و المثقف كل متعلم متوسع في الثقافة حفنة من المثقفين بمعنى الطبقة المثقفة و هم أهل الفكر و الثقافة، الذي يشكلون نخبة فنية أو اجتماعية أو أساسية.

المثقفة جمع مثقفات و هي مؤنث مثقف، و ثقف فلان أي حصل على العلم و الثقافة، زاد في معرفته، و تزود بفروع من المعرفة، ثقف الطالب، و ثقف عقله، أي أغناه بالمطالعة و الحديث و الرحلات، و سوى ذلك كان همه أن يثقف⁽²⁾

و في القرآن الكريم: بمعنى وجدوا، أدركوا كما في قوله تعالى: « ملعونين أيما ثقفوا أخذوا و قتلوا ثقبلا»⁽³⁾

2.2 اصطلاحا

فالمثقف هو الشخص الذي تتوفر فيه الآليات التي وضحت من خلال تعاريف "الثقافة" و في ظل هذا أيضا نجد أن هذا المفهوم في دوائر معارف العلوم يتخذ احتمالا آخر بأنهم " أولئك المنتجون في ميادين العلم، أو التدريس أو الفلسفة أو الأدب، و الفن و الأخلاق"⁽⁴⁾ في هذا الإطار نجد أن هذا التعريف ربط المثقف بمهمة الثقافة، أضف

(1) ابن منظور: لسان العرب، مجلد 4، بيروت، 1988.

(2) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، توزيع المكتبة الشرقية، بيروت، 2000، ص 165

(3) سورة الأحزاب، الآية 61.

(4) العروبي عبد الله : ثقافتنا في ضوء التاريخ، دار التنوير ، بيروت ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء

ط1 1983 ص172.

إلى ذلك تعريف المفكر "عبد الله العروي" حيث عرف المثقف قائلاً : " تطلق الكلمة عامة على المفكر أو المتأدب أو الباحث الجامعي، و في بعض الأحيان على المتعلم البسيط"⁽¹⁾.

في هذا المنوال سار المفكر "حامد ربيع" على نهجه حيث عرفه، " المثقف يمكن تحديده من خلال واحد من منطلقات ثلاثة، المهنة أولاً ثم الثقافة ثانياً، و الوظيفة ثالثاً"⁽²⁾

فقد شرح هذه المنطلقات الثلاثة فيما يلي، منطلق المهنة قد عرفها أنها " كل من ينتمى إلى تلك الخلايا الاجتماعية، حيث أعضاؤه يكرسون جهودهم حول العمل الفكري"⁽³⁾ فبالنسبة له، المهنة هي العنصر الحاسم في تعريف المثقف و محل ذهن الإنسان.

أما في المنطلق الثاني فقد ربط فيه تعريف المثقف بالثقافة حيث عرفه على أنه " كل ما يساهم في خلق أو نشر عالم الرموز، التي تشمل الفن و العلم و الدين"⁽⁴⁾.

و من خلال هذا يتضح لنا أن المفكر على المنطق الحاسم، هو المهنة في النطاق الذي يرتبط بتلك المهنة و تعرفها.

يحيل مفهوم المثقف إلى جدل كبير أدى إلى غموض في هذا المفهوم وتباينه في أطره العامة، و الحق أن هذا المفهوم عرف العديد من التعريفات الأخرى، فيرى الباحث إدوارد سعيد أن المثقف له معنى قديم يقتصر على كل ما هو خاص بالذهن، أو بالعقل أو بالفكر المنطقي، و استعمالها اسماً للدلالة على صاحب الفكر أو المفكر استعمالاً حديثاً⁽⁵⁾.

(1) المرجع نفسه، ص ن

(2) عبد الفتاح العلمي: واقع و مستقبل المثقف العربي في ظل التحديات التي تعيشها البلاد العربية، تحديات المجتمع العربي، ص 159

(3) إدوارد سعيد: المثقف و السلطة، تر: محمد عنان، ص 9.

(4) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، توزيع المكتبة الشرقية، بيروت، 2000، ص 165

(5) جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين، تر: جورج طرابيشي، ص 12-13.

فالمثقف إذن هو الذي يمارس نشاطا نظريا أو فكريا أو علميا و أن النشاط الفكري و الإنتاج المعرفي هما العمود الفقري في تحديد مفهوم المثقف، أما جان بول سارتر فيعتبر المثقف " كل شخص بلغ الشهرة بفضل أعماله في مجال الفكر، ويشغل تلك الشهرة للتدخل في أمور خارج مجال تخصصه، أو باختصار التدخل فيما لا يعنيه"⁽¹⁾ أي ما يعني أنه بعد إنجازه لأعمال فكرية صائبة، فالشهرة تأتي و الغرور و الجرأة تجعل هذا المثقف في موضع يفتي على أمور لا تعنيه كونه غير مؤهل لذلك.

أما في البلاد العربية، فقد استخدم مفهوم المثقف للدلالة على دوره و هو حديث العهد فيعرفه محمد عابد الجابري أحد أبرز وجوه الاتجاه الحديث في العالم العربي يعرف المثقف على أنه: " ناقد اجتماعي، إنه الشخص الذي همه الوحيد أن يحدد و يحلل و يعمل من خلال ذلك، على المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، نظام أكثر إنسانية و أكثر عقلانية"⁽²⁾، و ان هذا الناقد همه الوحيد توليد الثقافة و تحديدها أو الحفاظ عليها .

أما عبد السلام الشاذلي فيعرفه على أنه " إنسان علم و معرفة و موقف حضاري عامة تجاه عصره و مجتمعه"⁽³⁾. على الرغم من أنه هناك من يرفض أن تطلق صفة المثقف على من حصل على قدر من التعليم، بل يشترط أن يكون المثقف منتجا للثقافة و حسب حتى تطلق عليه صفة المثقف.

على سعيد آخر يرى "هشام الشرابي" أن المثقف هو الذي يستطيع أن يرى المجتمع و قضايا من كل الجوانب المحيطة به، و ذلك عن طريق وعيه الاجتماعي يساعده في ذلك قدراته الخاصة عن طريق اختصاصه المهني أو موروثة الفكري⁽⁴⁾.

(1) المرجع نفسه، ص ن.

(2) محمد عابد الجابري : المثقفون في الحضارة العربية، ص 15.

(3) عبد السلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية المعاصرة، دار الحداثة، ط1، بيروت، 1985

ص 26

(4) ينظر :هشام الشرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الدار المتحدة للنشر، ط1، بيروت 1975 ،ص129

فالمكتسبات القبلية للمثقف تلعب دورا هاما في الاختيارات المستقبلية المتخذة من طرفه، متبنيا السبل المثلى في نظره لتحليل و تقديم الحلول المناسبة.

أما "أحمد موصلي" و "لؤي الصافي" فعرفا المثقف على أنه: "الشخص الذي يهتم بتفكيك التناقضات المجتمعية، موظفا في ذلك هواجسه و اهتماماته"⁽¹⁾.

انطلاقا من التعريفات السابقة يمكن القول بأن التعريف الذي يعتبر المثقف بأنه المتعلم الحاصل على الشهادة الجامعية هو تعريف سطحي، لأنه يعني أن كل متعلم مثقف، غير أن للمثقف و صفات أخرى تميزه عن بقية المتعلمين.

3-صورة المثقف في الرواية العربية

لقد احتل فن الرواية مكانة متميزة في الأدب العربي الذي استطاع خلال مدة زمنية قصيرة الحديث على هؤلاء المخاطبين في دائرة واسعة رغم قلة ثقافتهم لهذا الفن و ضعف تأثيرهم له.

بما أن حال لبنان عرف العديد من الحروب، فإن تاريخها الدامي سرى فيه العنف مسرى الدم في العروق، و توجد العديد من الروايات التي تعبر عن هذا الوضع المأساوي مثل: "رواية الرغيف" لتوفيق يوسف عواد 1939، و رواية "ملكوت هذه الأرض" لهدى بركات 2012 كلها تعبير عن العنف و القلق المتذبذب الذي خلقتة السلطات السياسية في حياة المجتمع اللبناني⁽²⁾.

رغم معرفة لبنان بكثرة حروبها، لكن حالها حال البلدان العربية كلها، و هي مشدودة بتاريخها و ثقافتها و أفكارها إلى الغرب التي زادت عملية التحديث في المنطقة

(1) أحمد موصلي: لؤي الصافي: جذور أزمنة المثقف الوطن، ط1، سلسلة حوارات لقرن جديد، دار الفكر دمشق 2002، ص86.

(2) صابري حافظ: الرواية العربية و التحولات الاجتماعية و الثقافية، مجلة تبين للدراسات الفكرية و الثقافية دوحة 2012، العدد 2، المجلد الأول ص 20

و هذا ما أدى إلى فرض حدود بين الطوائف و الجماعات الوطنية ، و الرغبة في تجاوز هذه الحدود و صهرها في نسيج وطني واحد⁽¹⁾، و محاولة الحصول على أفكار أكثر راديكالية، هذا ما جعل أساس التجانس القومي فيه هو الحفاظ على «الجغرافيا و الخوف».

كما قال سمير خلف " فالجغرافيا، بحدودها و جمالها الطبيعي و عمقها الحضري الذي يعود إلى زمن الفنيقيين، هي ما يجعل اللبناني معتز بلبنان، و الخوف من فقدان هذه الجغرافيا في صورتها الحقيقية لديه، هو ما يذكي نيران المخاوف الداخلية لديه."⁽²⁾

نظرا لكل تلك الظروف التي ماضت عليهم، فهدفهم الوحيد، الحفاظ على تلك الرقعة الجغرافية التي كانت ملكهم في ذلك البلد الذي يعيشون فيه، و هنا نجد كل من رواية "طواحين بيروت و طيور أيلول" تكشف لنا عن مدى تأثير لبنان بهذا الواقع المأساوي الذي حال على لبنان رغم مرور عدة حروب لم ترحم الشعب اللبناني، و هذا لم يمنع الرواية اللبنانية من العودة إلى الماضي الذي سبق الحرب، فرواية إلياس خوري "مجمع الأسرار" 1994 من أكثر الروايات الحرب الأهلية اللبنانية الباحثة عن هذا الواقع الذي استبق الحرب.⁽³⁾

صحيح أن كل روايات إلياس خوري (أبواب المدينة، الوجوه البيضاء، ملكة الغرباء، كأنها نائمة...) تعبر عن الحرب الأهلية و ما حدث فيها، لكن رواية "مجمع الأسرار" هي رواية العودة الدائمة إلى أسباب تلك الحرب و جذورها، و هي العودة التي منحت الرواية بنيتها السردية المتميزة.⁽⁴⁾ و يرى إلياس خوري في هذه الرواية أن محتوى الشكل الروائي هو أكثر الأدوات المتاحة له تأثيرا و نفاذا بعد اللغة.

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 21

(2) نفسه، ص 22

(3) المرجع السابق، ص ن

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 25

كما نجد رواية "تقنيات البؤس" لرشيد الضعيف" 1989 تكشف عن معاناة الانسان من الحرب، من موت و بؤس صورتها لنا الرواية في حوادثها الظاهرية، و تسجل عبرها تقنياته التي تعبر عن طقوس حياة البطل اليومية. في صدد الحديث عن كتابته الروائية فهو بعيد عن الخطابات السياسية كليا، بل اعتمد على تجسيد الواقع على مدّ النص كله.(1)

كما يظهر أيضا أن الرواية اللبنانية لم تتطرق إلى تجليات الحرب اللبنانية في الرواية فحسب، بل أشارت إلى أهمية مساهمة المرأة في هذا المجال، و تخليقها رواية جديدة موازية لتلك التي كتبها الرجال. فالمرأة لها دور كبير في الكتابة الروائية فهي مكملة للكتابة الرجالية، فوجد حنان الشيخ في رواية "حكاية زهرة" 1980، حاولت أن تطرح زهرة كمعادل للتجربة اللبنانية التي تمتد من تجربة الحزب السوري القومي الاجتماعي إلى الهجرة إلى افريقيا، إلى بحث المرأة المستمر عن ذاتها و حريتها، و قد جاءت رواية إيمان حميدان يونس في رواية "باء مثل بيت مثل بيروت" 1997، التي تعبر عن علاقة المرأة بالبيت و ببيروت معا، باعتبار البيت مكان المرأة الأثير، و هي استعارة للوطن في الوقت نفسه، و هذا ليس لأن المرأة هي كاتبة هذه الرواية التي تهتم بتجسيد عبء الحرب على المرأة اللبنانية و ما فعلته فيها، بل الرواية التي وضعت المرأة مركز للسرد و أعطت لها دور من خلال شخصياتها النسائية⁽²⁾. فاستخدام إيمان حميدان يونس الأصوات النسائية أدى إلى حصار المرأة في مكان واحد و هو البيت الذي يسكن فيه، و البيت الواحد الذي هو لبنان. فالكتابة الروائية في لبنان انحصرت من جميع النواحي حيث أنها كتبت و تناولت تجربة الحرب التي يمكن اعتبارها الصرح القومي الوحيد للتجربة اللبنانية.

أما الحديث عن المثقف المغربي و دوره الثقافي المتشابك مع الواقع الاجتماعي الذي جعل الرواية مجرد أداة للتعبير عن مدى حضور المثقف في السياق النقدي للرواية المغربية، فرواية المنعطف "لعبة النسيان" الصادرة عام 1987 افادت الكاتب من اظهر

(1) ينظر: نفسه، ص 29

(2) المرجع السابق، ص 31

تقنيات «الرواية الجديدة» التي تحررت من كل التباس أو غموض تجريبي الذي لوى بروايات صدرت قبلها بسنوات معدودة.⁽¹⁾

في سياق الحديث عن المثقف الذي ينظر إلى النص الروائي بأحاسيسه فيمكننا التشديد على رواية محمد الأشعري " القوس و الفراشة " التي فارق فيها موضوع روايته " جنوب الريح " المتمثل في " المجتمع المغربي التقليدي الغميس " ، كما ينعته المؤرخ عبد الله العروي، و كشف العلاقات البشرية في الروابط الاجتماعية.

فالرواية أصرت على جعل موضوع التطرف أو الجنون الديني كما ينعته إدوارد سعيد، مقدم للتحويلات التي عصفت بالمجتمع المغربي المعاصر، و قد ظهرت تلك التحويلات في الرواية من خلال شخصية يوسف (صحافي و كاتب تقدمي و معتقل سياسي سابق) الذي يتلقى رسالة بأن ابنه قتل من طرف جماعة معينة و هذا ما أثر على نفسيته سلبا، غير أن هذا الصنف من الروايات رغم لغته المدروسة إلا أنها لقيت بـ "الرواية الاعلامية"، و المشكل لا يكمن في موضوع التطرف الديني و إنما في النظرة إلى تلك الوقائع و الأشخاص التي قامت بكتابة هذه الروايات التي تحررت من تأثير الاعلام كما نجد محمد بريدة في روايته " إمراة النسيان " التي بدا فيه ناقما لتجربة التناوب التي خولت حزب الاتحاد الاشتراكي، و قد توقف الكاتب عند وقائع كان الاعلام قد تناولها خاصة المكتوب.⁽²⁾

أما فيما يخص المثقف و تمظهراته في الرواية فقد قرر ذلك الناقد الاجتماعي أو "المعارض ألا يموت و هو في المعارضة"⁽³⁾ و ذلك نتيجة للإرهاصات السياسية التي مرت على المثقفين في تلك الفترة، و ذلك قد ولد خيبة المثقف.

⁽¹⁾ يحي بن الوليد: الرواية الجديدة في المغرب و رهان التشابك مع التحويلات الاجتماعية، مجلة تبين للدراسات

الفكرية و الثقافية دوحة 2012، العدد 2، المجلد الأول ص 47

⁽²⁾ ينظر: المرجع السابق، ص 48

⁽³⁾ نفسه، ص ن

تعد الرواية السودانية من أبرز الروايات حقبة السبعينات التي شهدت حقبة شحوب الرومانسية وأضحت الواقعية بتياراتها الكثيرة، التي تعتبرها سيدة الموقف، مما جعلها تنبئ الروائيين بخصوصيتها الروائية وتميزها عن غيرها من الأجناس الأدبية، إذ لن تعود مثلما كانت عند أسلاف الخمسينيات والستينات التي تعد عرضاً فجاً لآلام الذات وأمالها، مما يوحي أن الساحة الروائية لم تخلق من مناوشات تنهات الرومانسية و هيجان العاطفة كما هو الحال عند أمثال، عبد الله خوجلي، إبراهيم عبد العزيز الذين يعدون من مخلصي الشكل النادر لإرث الخمسينيات الغاربة، إذ أنهم لم يسمحوا لنصوصهم حتى بعد رحيلهم بأي أدنى قدر من الانفتاح، حتى على مؤثرات عالم آخذ بالتغيير. وهذا ما يجر بنا إلى الحديث عن حقبة السبعينات التي شهدت بروز عدت أسماء أمثال الطيب صالح الذي أصدر رواية " موسم الهجرة إلى الشمال " صف إلى ذلك نجد عمر الحميدي الذي أصدر "جريدة العوض" التي وصفها جمال محمد أحمد بأنها رواية السبعينات في العربية.

لقد مهدت هذه الأعمال السابقة بالتأزر مع أعمال الطيب الصالح وإبراهيم إسحاق الانفتاح الكبير على الرواية العربية والغربية التي شهدتها هذه الفترة وما بعدها. مما جعلها تتسم بتقنيات جديدة وهي تقنيات السرد الروائي التي شهدت تعدد الرواة الذين يتناوبون على السرد من زوايا رؤية مختلفة حول ذات السارد، ويظهر ذلك في رواية " باب الحياة " عند محمد بدوي حجازي، وفي رواية " أحوال المحارب القديم " لمحمد الجنس البكري⁽¹⁾.

4-صورة المثقف في الرواية الجزائرية

من أخطر الدراسات، في نظرنا، التي لم تأخذ حقها حتى الآن هي صورة المثقف في الرواية العربية خاصة أن الروائي بصفته مثقفاً غالباً ما يضمن عمله ملامح، من صورة المثقف وفقاً لمنظوره الخاص، التي ربما تتطابق مع حقيقة المثقف من الواقع ولكنها بالتأكيد تعبر بطريقة أو بأخرى عن موقع المثقف في المجتمع، وهذا ما ينطبق

⁽¹⁾ ينظر: هاشم مرغني: تحولات الرواية السودانية في التسعينات وما بعدها، مجلة التبين للدراسات الفكرية

و الثقافية ، الدوحة، 2012، العدد 2، المجلد الأول، ص 103-104.

على المثقف الجزائري الذي مسته الخطورة من جميع الجوانب منها: السياسية، الثقافية الاقتصادية، والاجتماعية،... .

كما أن نشأة الرواية الجزائرية غير مفصولة عن نشأتها في الوطن العربي، حيث لها جذور عربية و إسلامية مشتركة كقصص القرآني، و السيرة النبوية و مقامات الهمداني و الرسائل و الرحلات،... .

تعد سنوات السبعينات سنوات الانطلاقة الفعلية للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، بالإضافة لرواية " ربح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، نشر طاهر وطار روايته "اللاز" و "الزلزال"، هذه الروايات تحديدا رسخت الفن الروائي في الحقل الثقافي الجزائري و بعدها لم يعد السؤال عن ماهية الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية مطروحا، فقد كانت روايات بن هدوقة و الطاهر وطار فاتحة لبروز جيل بأكمله من الروائيين الجزائريين التي تعالج الواقع الاجتماعي و السياسي بلغة حدائثة و برؤية عميقة⁽¹⁾.

كتب بن هدوقة رواية "ربح الجنوب" في فترة الحديث عن الثورة الزراعية فأنجزها في 1970، مساندة للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة لفك العزلة عن الريف الجزائري و الخروج به إلى حياة أكثر تقدما و ازدهارا، و رفع البؤس و الشقاء عن الفلاح و مناهضة كل أشكال الاستغلال عن الإنسان⁽²⁾.

بالإضافة إلى تجربة الطاهر وطار الإبداعية الزاخرة بالمحيطات المضيفة التي تتجلى بوصفها إحدى اللحظات التعبيرية للرواية الجزائرية، فهو عندما يرسم الواقع يحاول أن يعي التاريخ في حقل معين من الصراعات و النضال و بهذا " استطاع بتجربته الثورية أن يفتح مرحلة جديدة لتطور الاشتراكية في الرواية الجزائرية"⁽³⁾

(1) ينظر: واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري 1986، ص 91-92.

(2) محمد مصاييف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام، الجزائر، د ط، 1983، ص 91.

(3) واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 230.

فرواية "اللاز" قد صورت لنا مرحلة من مراحل الثورة، و ذلك من خلال رؤية ايديولوجية محددة، فكانت بمثابة الأرضية الفكرية للكاتب.

أما إذا عدنا إلى مرحلة الثمانيات و هي بمثابة تكميل لما جاء في فترة السبعينات التي سايرت الواقع الجزائري و نقلت لنا مختلف التغيرات، فقد تميزت الكتابة الروائية في هذه الفترة بهيمنة السياسي على الفني و الإبداعي، وحضور الظواهر الاجتماعية كالفقر و الأمية. إضافة إلى اعتماد الروائي على اللغة السهلة و المباشرة.

فالطاهر وطار قام بتكملة لأعماله الروائية، فهو يتابع كتابة جزئه الثاني من رواية "اللاز" و هي تجربة العشق و الموت في زمن الحراشي سنة 1980م، فقد جاءت في الثمانيات لتعبر عن التغيرات و التطورات منذ الثورة المسلحة، إلى غاية الاستقلال و اغراء الإيديولوجية الفنية التي تميزت بها مدرسة الواقعية الاشتراكية التي جعلت من أعمال وطار، تتسم بنوع من التلقائية و الرؤية الشمولية، وجعلته قادرا على إدراك تلك العلاقات الجدلية بين الفرد و أفكاره، و كل ما يدور حوله من صراعات (1).

هذا الواقع قد أثر على المثقف بصفته عنصر هام في المجتمع، و بعد الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال فترة التسعينات أي القرن الماضي، و التي مست كل طبقات المجتمع، أخذت الرواية منعرجا آخر عالجت موضوع الأزمة و أثارها، فاتخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائرية مدارا لها، منها تتولد أسئلة و تتشكل عناصر سردها.

في ظل هذا الوضع المأساوي تعاطت الرواية موضوع العنف السياسي لمختلف الأجيال، و عرف معظم آثاره اجتماعيا و اقتصاديا و ثقافيا حيث يلتقي الطاهر وطار في "الشمعة و الدهاليز" مع واسيني الأعرج في "سيدة المقام" في البحث عن جذور الأزمة و فضح الممارسات التي تعيشها.

(1) إدريس بوديبة : الرؤية و البنية في روايات طاهر وطار، ص44، 45.

كما جسدت آخرون كإبراهيم سعدي في "فتاوى زمن الموت" و محمد ساري في "الورم" و بشير مفتي في "المراسيم و الجنائز"، فمثلا في "سيدة المقام" يصور لنا واسيني الأعرج معاناة مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية الصامدة، و يرجع سبب هذه المعاناة إلى النظام المظلم المعادي لكل مظاهر التقدم و التحضر⁽¹⁾.

أما الطاهر وطار في روايته "الشمعة و الدهاليز" يدخل القارئ في دهاليز كثيرة أن يخرج من دهليز حتى يدخل في آخر و هذا ما يؤكد كثرة الصراعات و التساؤلات المحيرة و الروائي و الكاتب و الشاعر هم الضحية الأولى، و في هذه الحالة يتغلب فيها عنصر الشر على الخير و لكن الشمعة رغم ذلك تضيء.

الرواية في هذه الفترة لم تهتم إلا بالمواضيع التي تتناولها و انزاحت عن اللغة، كون الكاتب يهتم في عمله الروائي أن تكون اللغة من أولى اهتماماته أولا، ثم القضايا الأخرى ثانيا، و لكن المطلع على النهوض الروائية في هذه الفترة يلاحظ مدى انزياحها عن اللغة و انغماسها في الهم الاجتماعي، فأصبح المضمون الاجتماعي مسيطرا على النص الأدبي و قد أدت سيطرة المضمون على اللغة الفنية إلى فقدان الشحنة الشعرية التي تسمو بالعمل الروائي إلى درجة الجمالية الأدبية، حيث "اهتمت الرواية الجزائرية بالمضمون، و لم تنظر إلى الشكل بوصفه خادما لهذا المضمون الذي كان خاضعا لأفكار الواقع"⁽²⁾

فرواية التسعينات هي "رواية مثقف في زمن عنيف جعلت هذا المثقف يعاني مسألة الوجود في واقع فقد الاستقرار الأمن"⁽³⁾ و الشاهد على هذه الممارسات، كلهم عبارة عن روائيين و مثقفين في نفس الوقت و هم أبطال روايات و عصر ناهض للثورة المعاصرة أمثال طاهر وطار و واسيني الأعرج.

(1) آمنة بلعلی: المتخيل و السلطة، من المتماثل إلى المتخلف، دار الأمل و النشر للتوزيع، ط، د، ص 77.

(2) علال سنقوثة، المتخيل، و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف الجزائر، ط، 2000، ص 145، 146.

(3) شريف حبيبة: الرواية و اعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، عمان الأردن ط، 2009، ص 121.

و يمكن القول بأن كل الروايات في هذه الفترة " تؤرخ لأزمة المثقف الذي أصبح هدفا لعملية العنف" (1) و أصبحت تلك الأعمال مست معظم المنشآت الخاصة .

تعد رواية "بخور السراب" للروائي بشير مفتي أحسن مثال و نموذج جسد صورة العنف السلطوي في المجتمع أي ما نسميها بالسلطة الأبوية.

يعاني منذ الصغر من أب جامد المشاعر، يعمل في مقبرة، يعيش علاقة متوترة معه، يسيطر عليها القلق و الحيرة و النفور المتبادل فيعاني الضياع و الشتات (2).

و في بعض المتون الروائية حاول الكتاب تسليط الضوء على تورط السلطة و توجيه أصابع الاتهام نحوها في الممارسات غير الشرعية لأعمال العنف التي سلطتها على المثقف، فاضطهده و أرغمته على الصمت و السعي إلى كبت حرية التعبير لديه، كما تلقى الإهانة و السب و الشتم "و هذا يحكم النظام قبضته على رقبة المثقف و يضيق الخناق عليه، فتغيب الديمقراطية و تكبت الحريات و يتكل بكل من حاول دس أنفه فيما لا يعنيه" (3)

كما نجد رواية "دم الغزال" للروائي الجزائري، مرزاق بقطاش تعبر عن تواطؤ السلطة و توجه أصابع الاتهام نحوها و إدانتها بارتكابها أعمال العنف و القمع و الظلم في حق الشعب الجزائري، كما عمد الروائي أيضا إلى تسليط الضوء على حادثة اغتيال "الرئيس محمد بوضياف" هذه الشخصية السياسية التي عرفت بإخلاصها و نزاهتها و حبها للوطن "و لأنه حاكم شريف و نزيه، وجوده بهذه النزاهة الخالصة يتعارض و مصالحهم" (4). لهذا كان مصيره الاغتيال أمام أعين الجميع، سبب رفضه و معارضته للممارسات اللامشروعية لرجال السياسة.

(1) آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المتخلف ص171

(2) سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الفراشة للطباعة و النشر، الكويت، ط2010، 1، ص57.

(3) سعاد حمدون: صورة المثقف في روايات بشير مفتي، ص191

(4) المرجع السابق، ص61.

فالمثقف الجزائري بسبب تعرضه لكل أنواع الاغتيالات أصبح "غير متصلح مع السلطة بطبيعته، و في نفس الوقت فهو لا يجد من يحميه من غضب المتطرفين و ليس لديه الوسيلة، و لم تتح له فرصة أداء دوره الحقيقي في حمل رسالة التنوير الحقيقية تمهيدا لثورة ثقافية حقيقية"⁽¹⁾.

5-أنواع المثقفين

لقد اختلف الدارسين في تصنيف المثقف انطلاقا من اختلافهم في الأسس التي اعتمدوا عليها، فالبعض منهم ينظر إلى أنواع المثقف من خلال إنتاجه للثقافة أو نشر أو تطبيقه لها و البعض الآخر يحدد أنواع المثقف من خلال دوره و التزامه، حيال المجتمع الذي يعيش فيه حيال القضايا المعاصرة له.

1.5 المثقف الموالي للسلطة

هو التابع للسلطة و المبرر لقراراتها مهما كانت، فهو "يستعمل علمه و أسلوبه و قدراته بطرق جدلية، و الدفاع عن القرار و الهجوم على الخصم كما يفعل رجال الدين في الدفاع عن العقيدة و الهجوم على خصومها، و قد يستعمل طرق سوفسطائية، قلب الحق باطلا و الباطل حقا ما دام الهدف هو إقناع الناس"⁽²⁾

إن المثقف في هذه الحالة خاضع للسلطة، و وظيفته هي إقناع الناس حتى لو لم يقتنع بها هو نفسه، لذلك وجب عليه الإبهام و الكذب و الإقناع بالباطل و النفاق، وأهم ما يتصف به هذا المثقف، أنه لا يملك أي عمق ثقافي أو معرفي و هو كذلك لا ينطلق من قضايا و هموم اجتماعية عامة، و لا يبحث في هذا المضمار متسلحا بثقافة العلم.

(1) نفسية الأحرار، كتابات امرأة عايشة الأزمنة، منشورات جمعية المرأة في اتصال الجزائر 2002، ص1، 40

(2) محمد منيف : المثقف و السلطة، مجلة الزمان، ع 1287، الرياض، ت: 2008/08/05، ص17

كما أن انتهازية واضحة لكونه ،انفصل من اهتماماته الفكرية و انتقل إلى وصف الحاكم ممجدا و مشيدا بفضل انجازاته، وهو بذلك يعيد إنتاج قيم التسلط.

2.5 المثقف المتمرد

نقصد بالمثقف المتمرد أي المناهض للسلطة المعارض لقراراتها، و هو الراض للانسجام مع المجتمع، لا يعتي بقضاياه و لا يهتم بتغييره، و يسخر من أجل السخرية بالنقد، " فهو راض و حانق من أجل الرفض"⁽¹⁾.

لا يرضي بالمجتمع و قضاياه و يشعر بالعدمية و اللاتحقق، و هو راض لاختيارات السلطة بالقول و الفعل، و يتم ذلك من خلال النقابات العمالية و الجمعيات الأهلية، و الاتحادات الطلابية، و من مثل النقابات العمالية و المهنية نجد الأطباء و المعلمين و المهندسين و نوادي أعضاء التدريس بالجامعات، وهي محدودة الأثر ليس لها وسائل الاتصال الجماهيرية العامة، و هي دائما مهددة بالحصار و الحل و المنع و يمكن أن تعتبر " فئة المهمشين مثقفين سلبيين، و هذه الفئة بعيدة عن النوعين السابقين فهو من جهة لا تنتمي إلى السلطة الحاكمة، و من جهة أخرى لا تنتمي إلى المعارضة، و بالتالي لا تتخذ موقفا محددًا"⁽²⁾.

3.5 المثقف المضطهد

إن المثقفين باعتبارهم فئة من المجتمع، لهم صلة وطيدة به يسعون إلى التعبير عن التغيرات التي تطرأ على البني الثقافية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية، كما يقوم بتأدية واجبه نحو هذا الوطن المتمثل في نشر الوعي بين أوساط المجتمع " و هذا هو الوضع الصحيح لأي إنسان قبل أن يكون مثقفا واعيا بدوره في الحياة"⁽³⁾.

(1) هويدة صالح: صورة المثقف في الرواية الجديدة، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2013، ص69.

(2) مجلة بيان الثقافة، ع120، 28/04/2002/ص5.

(3) سعاد عبد الله العنزي: صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص50

فالمثقف الجزائري باعتباره فردا من مجتمعه عان الكثير من ويلات الإرهاب، بتعرضه لأشد أنواع التعذيب و التقتيل و القهر، و عان التهميش و النفي و الإهانة من طرف الإرهاب " فالعنف كان من نصيب المحامين و الإعلاميين و المفكرين بوصفهم فئة من المثقفين الملتزمين، الذين ناضلوا من أجل إيصال الحقيقة، و هذا الأمر كلفهم أرواحهم في أغلب الأحوال».(1)

فدور هذا المثقف الذي يعتبر ايجابيا ملتزم، مصلح و مرشد، جسده الروائي الجزائري بشير مفتي في روايته "أرخبيل الذباب" في شخصية الصحفي مصطفى الذي حاول دائما التقصي عن الحقيقة و نشر الوعي"(2) بين أفراد مجتمعه عن طريق أفكاره التي جسدها في مقالاته الصحفية تعتبر رواية "ضمن الفراغ" للروائي إبراهيم سعدي أحسن نموذج لصورة المثقف المخلص و المحب لوطنه و عمله، جسدها الروائي في شخصية الصحفي "عبد الحميد بوط" الذي كان له دور كبير في نشر الوعي و تقصي الحقيقة عن طريق مقالاته الصحفية، تحدثه عن الاغتيالات الاعتداءات الوحشية و الهمجية في حق الشعب الجزائري دون تمييز دون مختلف شرائحه الاجتماعية.(3)

(1) المرجع نفسه، ص ن.

(2) سعاد حمدون، صورة المثقف في روايات بشير مفتي، ص 42.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

الفصل الثاني

تجليات المثقف في رواية غرفة الذكريات لبشير مفتي

- 1- تمثلات المثقف في رواية بشير المفتي
- 2- أنواع المثقفين في رواية غرفة الذكريات

الفصل الثاني

تجليات المثقف في رواية غرفة الذكريات لبشير مفتي

1. تمثلات المثقف في رواية بشير المفتي

تعد الرواية الجزائرية صياغة المجتمع بوصفه كيانا موضوعيا يتميز بوجوده المستقل عن الذات، لكن هذا الوجود ليس مفصولا تماما عن الذات المبدعة، إنما هي علاقة مؤسسة على صلة جدلية و ثقة بين الأدب و الوطن، صلة تعترف بدور الأدب في عملية التغيير و يظهر ذلك من خلال حضور المثقف في الرواية و فيما تتمثل أدواره و الاشكاليات التي طرحت حوله في ظل مجتمع متخلف، مهتز بتناقضات السياسية و الاجتماعية و النفسية، المثقف يتميز عن غيره لأنه مدرك للفوارق الكائنة بين الأفكار.

"بشير مفتي" من بين الروائيين العرب الذين عرفوا بكتاباتهم عن المثقف و ارتباطه بالمجتمع، و تفاعله مع الثقافات الانسانية دون الانسلاخ عن الهوية القومية الوطنية و رواية "غرفة الذكريات" احدى روايته التي عكست حالة المثقف الجزائري، فقد صورت تحركات شخصية مثقفة سماها "عزيز مالك" الذي كان هدفه الوحيد الوصول إلى مبتغاه و هو كتابة رواية، لكن الظروف المعيشية و الراهن الاجتماعي تصدى العديد من الكتاب في تلك الفترة التي لم تسمح له في كتابة روايته، فنجده يطرح تساؤلات " تسأل هل ستكون قصة كاتب فاشل يجد نفسه في زمن مفتوح على المأساة عاجزا عن الكتابة ككل الشخصيات التي ستعرض طريقه؟"⁽¹⁾.

(1) بشير مفتي: غرفة الذكريات، ط1، منشورات ضفاف و الاختلاف، لبنان، 2014، ص12

فهو يرى أن كل من حاول الكتابة و التعبير عن آرائه في ذلك الزمن المخيف عرض نفسه للخطر و الموت سواء من طرف السلطات أو من طرف الجماعات المتطرفة، و الحل الوحيد هو الاختباء و عيش حياة عادية بعيدة عن كل الالتباسات الخارجية، و في قوله: " أم هي قصة حياة مستبسة في الكفاح من أجل أحلام لم يتحقق فيه الكثير ؟ " (1)، فتلك الحياة التي يعيشها مجرد فرض يقوم به كل يوم و هذا الوضع أصبح عنده عائق بينه و بين تلك الحياة التي حلم بها.

لذا قرر أن ينهى كتابة روايته بسبب اختفاء العديد من الشخصيات المهمة و أصبح يتحدث عنها في صمت و كأنها أشباح من الماضي، " و صارت مثل الأشباح التي تسكن في الأمكنة القديمة ، صرت أراها في خيالي و أحلامي لا غير أما في الواقع لم تعد موجودة" (2)، و هذا ما يفهمه أن الانسان رغم تمرده و صخبه في ذلك العنف و حتى صمته ينتهي في هدوء مطلق، و في رمشة عين.

و هذا ما أدى به إلى استنكار الماضي و العودة إلى طفولته و أيام شبابه، " فهو شاب يحب القراءة و المطالعة فكلما كان لديه مال اشتراه كتابا و أصبحت لديه مكتبة كبيرة في البيت و هذا ما غير نظرته أو رؤيته للأشياء على حقيقتها، و لم يكن له أصدقاء حتى في الحي الذي يعيش فيه فيقول أما صديقه الوحيد هو كتابه " كان صديقي الوحيد في ذلك الوقت هو الكتاب حيث تجدني في كل مكان برفقتي، أحمله معي في فرح غامر و كأني أحمل السلاح الوحيد الذي يساعدي على تجاوز خيبياتي و ضجري و نفوري من هذه البلاد" (3).

فالكاتب عنده كفعل موازي للحياة، بل هي الحياة ذاتها، فالرواية بشكل ما تنتصر للكتابة لذا قال: " ما جدوى الحياة إن كنت لا أستطيع كتابة ذلك الذي كنت أحلم به ؟" (4)

(1) المصدر السابق ، ص ن

(2) المصدر نفسه ، ص 13

(3) نفسه، ص 25

(4) نفسه، ص 11.

فهو يرى أنه لا جدوى من هذه الحياة والاستمرار في العيش فيها إن لم أستطع إخراج المكبوتات الداخلية.

لكن أدى به إلى هروبه من تلك التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري والخوض في الحكي عن علاقاته الغرامية التي كان يعيشها مع ليلي مرجان التي أخذت عقله أعطت لحياته لذة العيش عن طريق رسائلها التي كانت تبعثها باستمرار، " رسالة لم يكن فيها إلا ذكريات قديمة، لكن كأنها أيقظت فيّ حنيناً غامضاً لسنوات الحب المجنونة و التي صاحبته حالة انهيار لبلد وشعب بأكملهما" (1)، فهو يرى من ليلي مرجان كذكرى لهذا البلد الذي تصدى طريق العديد من المثقفين.

و هذه العاطفة التي انبثق نورها التي لا يتمني أن نطفئ، فقد انفتح الضريح، و خرج ليعود إلى الحياة من جديد، فليلي مرجان أحدثت انقلاباً في حالته النفسية، فأطلق العنان في الغوص في أمور مختلفة فبشير مفتي قد تمكن من كشف أعماق شخصية الراوي واستطاع أن يرصد أبعادها النفسية المتناقضة، و كان يعرضها إما بمنظوره أثناء سرده للأحداث، أو يتركها تعبر عن نفسها متخذة الحوار الداخلي للكشف عما يدور حوله من خطر، وكانت معظم مناجاته الذاتية مرتبطة بمجموعته كتساؤله في حيرة عن حالته وعن هذه الاحاسيس التي ولدت فيه فيقول : " هل هي ليلي مرجان أم أنا أتخيل ؟ " (2) ، فهو يتخيلها في كل مكان خاصة أثناء تواجده في الحانة فهي غرفة ذكرياته التي لم تفارقه منذ اصطدامه بها.

قبل الخوض في الحديث عن المثقف و أنواعه، نجد أنه لا بد أن يكون عضواً فاعلاً في المجتمع يساهم في صنع القرار و ينتشل المجتمع من حالة الازدراء و الاستسلام و الضعف و الرجعية، كما عليه أن يكون متابعاً لحركة المجتمع و ما يجرى في الساحة مع انفتاحه على مختلف التيارات و الاتجاهات و القدرة على احتواء الآخر و تقبل وجهة

(1) المصدر السابق ، ص 17

(2) نفسه، ص 74

نظرة، احترام الاختلاف الذي هو سنّة الحياة كما أنه يجب ألا يخضع لسلطة معينة ، بل أن يمثل نفسه و لا أقصد بالسلطة، تلك السلطة السياسية، و لكنني أقصد بها كل سلطة يمكن أن تمارس ضغطا على الفرد و تجعله يكتب بلسانها و يفكر بعقلها و يتحرك ضمن المسارات التي ترسمها له عبر مؤسساتها، و هذه يمكن أن تكون سلطة سياسية أو مؤسسة دينية أو سلطة اجتماعية كما يجب أن يكون المثقف الحقيقي قويا قادرا على مواجهة النقد الهجومي الذي يشنه أعداءه، محاولا بذلك إسكات ذلك الصوت الذي يحاول إسقاطه.

إضافة إلى شخصية "عبد المالك عزيز" هناك أيضا شخصية مثقفة أخرى، صورت لنا هذه الرواية تحركاتها و هي شخصية "سمير عمران" المعروف بالشاعر، و أيضا بالأستاذ الجامعي، فهو من مدينة قسنطينة إلا أنه تركها وجاء للعيش في الجزائر العاصمة، فهذه الشخصية مثقفة إلا أن الظروف لم تسمح لها بإظهار مواهبها، فهو أستاذ إلا أنه لم يتمكن من مناقشة رسالته، إلا أن هدفه هو الجري من أجل الحصول على النقود، و العمل لإعالة عائلته، و لكن يمكننا القول أن "سمير عمران" قد سغه الحظ في مسابقة جرت في مارسيليا و قد شارك فيها و نال الجائزة الشعرية، و كان الأمر له في البداية عادي فهو لم يكن يرغب في المشاركة و لكن السبب الوحيد الذي دفعه إلى ذلك هو المبلغ المالي المقترح كمكافأة، فهو سيتغرب الأمر في نجاحه لأنه في حقيقة الأمر أراد فقط الحصول على المال للسفر إلى مرسيليا لأنه لم يسافر في حياته خارج الجزائر لقوله: « آه لا تذكرني بها لقد سببت لجمال إحباطا كبيرا و قاسيا... صحيح أنا أعتبر جمال أكثر جنونا بالشعر مني ولكن لا أدري كيف نجحت قصيدتي ولم تتجح قصيدته »⁽¹⁾، فهو في بداية الأمر لم يرد أن يشارك هما الاثنتين و من ربح منهما فيقومان بتقسيم المبلغ المالي معاً، إلا أن الأمور جرت على غير حساب فهو أخذ معه صديقه على أمل أن تتجح قصيدته إلا أن الأمر انعكس ونجحت قصيدة "سمير" الذي

(1) بشير مفتي: غرفة الذكريات، ط 1، منشورات الضفاف والاختلاف، لبنان، 2014، ص 59

لم يكن ينتظر هذا، فهو غير مقتنع بموهبته، و هذا الأمر قد سبب له إحراجًا و كادت علاقتهما تسوء، إلاَّ أنَّ سمير و في بالوعد و قسم معه المبلغ، من أجل ألاَّ يزحف منه صديقه جمال، ولكن الأمر لم يرضيه. و من كل هذا نجد أن سمير عمران غير مقتنع بموهبته و إبداعه في الشعر، فهو دائماً يفضل شعر جمال على شعره.

لكن الظروف التي يمر بها سمير هي ظروف قاسية فهو فقير، لكنه مثقف إلاَّ أن الأوضاع التي يمر بها البلاد لم تسمح له بالظهور إلى الساحة الأدبية، و ضف إلى ذلك أن الراهن الاجتماعي والعنف السلطوي لم يسمحوا للمثقف من التعبير أو الإبداع أو نظم القصائد ونشرها في الصحف، فإن جرى ذلك فيكون مصيرك الموت حتمًا، و لهذا فقد اعتمد الشعراء والروائيين الصمت والعيش في الخفاء، ولكن كل هذا أثر على حالتهم النفسية والاجتماعية، فنجد أن نفسية سمير عمران تعبانة وهو كئيب طوال اليوم يعيش في خوف مستمر، ولا ملجأ له لنسيان هذه الكوابيس إلاَّ الحانات لشرب ونسيان الواقع المرزى، و العيش في خيال من أجل الهروب من الموت و رؤية الدماء. فجل الحديث يدور حول السلاح والقتل وسفك الدماء، لقوله: « حمل السلاح، فهناك من يحمله من أجل أن يدافع على نفسه، فهناك من حمل السلاح ليستلم مقعدًا في السلطة، و هناك من سلم رقبته للقطع، و القتل و الذبح، و هم الأغلبية...»⁽¹⁾.

و هذا القول يدل على وجود الجماعات المتطرفة، و الإرهاب فهنا الموت سيكون على أيدي السلطات أو على أيديهم لذا يجب تجنب كل الالتباسات الخارجية التي لا حياة من ورائها. لقوله: « هو الدم، إذن، القتل والذبح هذا ما ينتظرنا في الغد »⁽²⁾.

وفي هذا الصدد يمكننا أن نقول أن سمير عمران يمتاز بنفسية مريضة وحساسة فهو يعيش في حزن وكآبة دائمة، فالأمل الوحيد لديه في هذا البلاد هو " بوضياف " لقوله: " بوضياف هو آخر أمل لهذا البلد... أنا خائف عليه " ⁽³⁾

(1) المصدر السابق، ص 68.

(2) نفسه، ص ن.

(3) نفسه، ص 138

فهو يرى أن الرئيس بوضياف هو الأمل الوحيد لتسوية أوضاع هذا البلد و إلا فسوف تقوم القيامة بعده فالقوي يأكل الضعيف و تحدث الكارثة و لا حل لها. لكن الأمر لم يتوقف هنا فسمير عمران يتميز بشخصية ضعيفة في كل مجالات حياته سواء في الحب أو غير ذلك فهو يمتاز بضعف نفسي مما أدى به إلى الانتحار، أين ألقى بنفسه من أعلى جسر قسنطينة التي كانت مكان مولده وأصبحت مقطوع رأسه، فهو لم يترك شيء ورائه لتفسير سبب انتحاره مما جعل أغلب الظن يرى بأن الأمر يتعلق بموت الرئيس بوضياف، لأن الحادثة جرت يومين بعد الإعلان عن اغتيال الرئيس بوضياف فهو كان ينتظر عودته بكل حماس.

في هذه التمثلات نجد شخصية " جمال كافي " المعروف بشغفه بالشعر، فهو أيضاً مثقف موهوب و مبدع في مجال الشعر، فإن أوضاع البلاد لم تسمح له بإتيان شعره و بروزه في الساحة الأدبية، لكن هذا الوضع أثر على نفسية هذا الشاعر رغم أنه يمتاز بشخصية قوية لكن هذا التدهور أرغمه على أمور أخرى، فيمكننا القول أنه محظوظ نوعاً ما بمقارنته بأصدقائه الآخرين فهو يمتلك بيت صغير، تركته له جدته، فمن هذه الناحية فهو يعيش مرتاح و بحرية في هذا المجال لقوله: « لحسن الحظ جدتي تركت لي هذا البيت الصغير، وإلا كنت أتعذب مثلكم مع أفراد العائلة المحشورين في بيت يشبه علبة السردين»⁽¹⁾، و هذا القول دليل على أن جمال كافي فقير أيضاً و أن عدد أفراد أسرته كثيرة، مما أدى به إلى الذهاب لسكن في بيت آخر، وهو أيضاً معروف بشغفه بالنساء وعلاقته معهنّ، و ولوع النساء به يعود إلى جماله، فجمال كافي كان يغري النساء بجماله فالمرأة بالنسبة له لم تخلق للحب بل للفراش، لا شيء غير ذلك، فهن نزوة عابرة في حياته لا أكثر. و الأمر عنده لم يتوقف فقط مع النساء بل كان يقضي معظم وقته في الحانة لشرب لنسيان الواقع و العيش في عالم آخر أفضل من الواقع الكئيب المخيف لقوله: " هذه المشاكل لن تنتهي أبداً، ويجب التفكير في الهجرة لا حل إلا في الهجرة لكن يبدو أن معظمنا لا يريد ذلك «⁽²⁾

(1) المصدر السابق، ص 106.

(2) نفسه، ص 107.

هذا يدل على أن جمال كافي كره البلاد و لم يبقي له حل إلا الهجرة و في قوله أن معظمنا لا يريد ذلك فبالنسبة له كأن الأمر سهل إلا أن السبب في الرفض هو أن الظروف لم تسمح لهم و إلا فكان الجميع قد هاجر، ضف إلى كل معاناته هذه و قوة شخصيته و كل هذه المشاكل السياسية التي يتهرب منها نجد هناك مشكلة أخرى أو حادثة أثرت فيه بكثرة و هي موت صديقه سمير عمران الذي انتحر مما سبب من كآبة نفسية " جمال كافي " التي تدمرت على آخرها ، وذلك يعود إلى علاقته " بباية " صديقة " سمير عمران " والدليل قولها: " و لكن لم أكن أعرف أن الضحية الوحيدة في علاقة كهذه سيكون هو سمير عمران " (1)، فجمال كافي يرد هذا الانتحار إلى ارتباطه بصديقة صديقه ولكن لم يتحمل الوجد و لتخلص من ذلك فيرد هذا الانتحار إلى حادثة أخرى، ورغم كل الأوجاع التي تداهمه إلا أن هذا الموت أثر فيه مما أدى به إلى الانسحاب عن النساء، و التفرغ لكتابة المقالات السياسية المعارضة لسلطة و الجماعات الدينية، فهو لم يعد يخاف من شيء، رغم أنه كانت يصله رسائل تهديدية كثيرة إلا أن الأمر لا يهمه فهو يرى أن « الجزائر كلها يجب أن تكون مسؤولة أمام انتحار أي شاعر من أرضها » (2)، و هكذا نجد أن حقا جمال كافي قد تأثر حق التأثر بانتحار سمير حتي أنه أصبح يعيش كوابيس مرعبة فهو يصرخ و يهلوس في كل ليلة و خلاصة الكلام يمكننا القول أن جمال كافي عاش حياته غرقا في عالمه الكابوسي.

2. أنواع المثقفين في رواية غرفة الذكريات لبشير مفتي

1.2 المثقف الانتهازي (السلطوي)

لقد طرح الكاتب في متن الرواية، أبعاد الشخصية الانتهازية من جوانب عدة و الأسباب التي ساعدت و أرغمت الفرد المثقف دينياً و علمياً و سياسياً إلى التحول إلى شخصية ساخرة، انحرفت عن مبادئها و قيمها التي كانت بمثابة قاعدة مثالية لا تقبل الحركة و التغيير و عندما نأتي إلى تحليل الشخصية المثقفة الانتهازية نجد أن جل

(1) المصدر السابق ، ص 194.

(2) نفسه ، ص 215.

مبادئها و آراءها يمكن إسقاطها على شخصية المثقف المتمرد " و هو ذلك المثقف الذي يرفض الانسجام مع المجتمع، و لا يعتني بقضاياها، و لا يهتم بتغييره، فهو ينتقد و يسخر من أجل السخرية و ليس من أجل تغيير المفاهيم الخاطئة التي تشيع في المجتمع و لا يرضى عنها" (1).

قدمت لنا شخصية **عبد المالك عزيز** المثقف و المهتم بالعلم، الحامل لشهادة جامعية و هذا ما عكس على نمط حياته الإدمان على قراءة الكتب و مطالعة الروايات الغربية المشبعة بالخيال و حرية الفرد، و انطلاقاً من هذا الوعي الفكري الجديد الذي نهله من قصص و أحداث و عقليات أبطال الرواية الغربية المختلفة عن واقعه المعاش و ثقافة مجتمعه الراسخة منذ الطفولة " و أعتقد جازماً أنه لولا الأدب الذي فجر بداخلي كل تلك اليقينيات، لكنت بقيت في ذلك العالم الأول أعيش فيه مطمئن الروح و البال و دون أي مشكلة" (2)، نفهم إذن أنه كان السبب القوي في تحول شخصه من الإنسان المعتدل الخلق المثقف المتدين إلى شخصية متمردة عن كل أعراف و عادات مجتمعه كما لو أنه أعلن ثورة علنية على مجتمعه، و لعل هذا التحول في السلوك لدى **عبد العزيز** تفتن إليه من خلال قوله الذي كان على شكل اعتراف " يجب أن أعترف أنه قبل ذلك بسنة فقط لم أكن أجرؤ على الاقتراب من الحانات التي كنت أبصرها عن بعد، و منظرها كان يثير في الأشمئزاز الشديد" (3).

كان انفتاح **عبد المالك عزيز** اللامحدود على الأدب الغربي، تحولات في حياته على مستويات عدة سياسية، اجتماعية، فكرية، دينية و هذا الأخير لم يسلم من الأفكار الجديدة التي غزت عقله و قناعاته الشخصية حيث انحرف عن مضمار الدين الإسلامي الذي كان من ركائز الفرد المسلم عامة و الجزائري خاصة، و باختصار يمكن القول أن **عبد المالك عزيز** انتهج خطوات تكتيكية في التخلي و الانحراف عن الدين الإسلام بقيمه و عباداته و يتضح ذلك من خلال هذا القول "كنت أجلس معهم دون أن أهتم بما يقال

(1) هويدا صالح: صورة المثقف في الرواية الجديدة، ص68.

(2) بشير مفتي: غرفة الذكريات، ط1، منشورات ضفاف و الاختلاف، لبنان، 2014، ص31.

(3) المصدر نفسه، ص30

فيها من مواظب دينية أغلبها يدور حول العذابات التي تنتظر الكافر بعد الموت، من عذاب القبر إلى عذاب جهنم⁽¹⁾

لقد أضحى بديهيا تمرد الشخصية على الدين الإسلامي من خلال السخرية الغير المباشرة أو عدم القناعة بما يفتي به الأئمة في المساجد عن الترغيب و الترهيب (الجنة الجهنم، ... إلخ).

لقد حاولنا في البداية تقديم توضيح حول أسباب تحول الشخصية إلى شخصية انتهازية من خلال الانفتاح على الوضع الاجتماعي للفرد المتمثل في تدهور المستوى المعيشي بسبب أزمة اقتصادية داخل فضاء الأسرة، و حياة **عبد المالك عزيز** نموذج عن شاب متعلم عاش قساوة الفقر و العوز منذ الطفولة و كان يضع ألف حساب لكل قطعة نقود و إلى أين سيكون مصيرها، بالفعل فققره هذا جعله يستغرب ارتياد بعض الرجال و منهم الفقراء إلى الحانات لشرب و تبذير الأموال "كيف يبذر الناس أموالهم في شرب ما لا يسمن و لا يغني من جوع؟ أو لماذا لا تذهب النقود إلى أشياء مفيدة؟"⁽²⁾.

قد يبدوا الأمر مثير للاستغراب إذا قلنا أن شخصية **عبد المالك عزيز** هي شخصية طيبة رغم كل شيء فهو إنسان يعيش عذاب الضمير من جراء تدهوره و تمرده رغم كل هذا، و ذلك من خلال قوله "عندما أستعيد الذكريات، اشعر بحزن عميق يتسلل إلى قلبي و أقول إنني كثيرا ما كنت أعذب أمني بتصرفاتي الهوجاء و أحاول أن أعلن عن استقلالي و تمردتي، و كثيرا ما أحزنتها رغم أنها كانت دائما ترأف بهذا الابن المشوش الذهن و المبلبل خاطر"⁽³⁾.

يتبين لنا من هذا القول أن نفسيته مريضة، فهو يعيش في كآبة و تأسف و حزن بسبب تصرفاته التي تسبب الحزن لأمه و رغم كل هذه المعاناة فإنه يبحث فقط عما يلهيه

(1) المصدر السابق، ص 43.

(2) نفسه، ص 44.

(3) نفسه، ص 30.

و ينسبه وجعه الداخلي. هكذا نقف عند شخصية أخرى انتهازية وهي شخصية العسكري ألا وهو زميل عبد المالك عزيز فهو قد ترك الدراسة و ذهب إلى الخدمة العسكرية التي غيرته تمامًا و أحدثت فيه أثرا جديداً، و قد عاد بعد سنتين في حالة و حيلة جديدتين و هذا الصديق قد تعرف عليه عبد المالك عزيز في نهاية سنتي الثالثة ثانوي في مكتبة تابعة للبلدية كان يذهب إلى هناك كل يوم و يقرأ روايات كثيرة، و هو مهتم بالروايات الروسية التي يبلعها بلعاً ألاً أنه كلما يسمع الأذان ينهض و يترك كل ما بيده و يذهب إلى الصلاة بطريقة سريعة، فهو كان شخص متدين لا تفوته أوقات الصلاة إلا أن الأمر تغير، فعند عودته من الخدمة الوطنية تخلى عن الصلاة و انحرف عن الديني و تخلى عن عاداته " بعد عودته من الخدمة التقينا طبعاً و فرحت بلقائه ... و لاحظت حينما أن سمع الأذان عدة مرات دون أن يسرع الخطى كما تعود على ذلك نحو المسجد للصلاة " (1) ومن هذا المنطلق يمكننا القول إن الإنسان ضعيف بطبعه، فأبسط شيء يمكن أن يغيره، فمن عاشر قوم أربعين يوماً أصبح منهم، فمثلاً هذا العسكري قد تغير جذرياً وأصبح انتهازياً بسبب هذه الخدمة التي تعلم منها الشرب و أشياء كثيرة.

2.2 المثقف المهمش

غير أن هذا التعدد، لا يتجلى في نوع واحد بل يحيلنا إلى إبراز الشخصيات المختلفة في تمثالتها في رواية "غرفة الذكريات" نجد الشخصية المهمشة أو المضطهدة اجتماعياً لأسباب سياسية و اقتصادية، و كانت الرواية طريقة أخرى للتعبير عن "هموم وطموحات طبقات المجتمع التي همشتها الأنظمة القمعية العربية، أي أنها كما يقول أنطونيو جراميشي تصدر عن مثقف عضوي ارتبط مصيره بمصير الطبقات المحكومة لا الحاكمة، لأن هذه الطبقات تمثل الغالبية الساحقة من الناس، فيتعين على الروائي يعبر عن مشاكل الحياة المعاصرة و تعقيداتها، و أن يعرف قراءة التاريخ و أن يكون شاهداً يقظاً على عصره" (2).

(1) المصدر السابق، ص ن

(2) الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 199.

من خلال هذا يتضح لنا أن الشخصية تتحول إلى كادح محروم من أدوات و وسائل الإنتاج فهو مكبل بقيود القهر الطبقي لا يعدوا أن يكون غير ذلك "المواطن المحروم من فرض العمل المتخبط على قارعة الشارع الاجتماعي على غير هدى" (1)، و كل هذا فإن الشخصية تعاني إلى جانب الإشكالية الأمنية والسياسية و إشكالية اجتماعية و اقتصادية.

و في الرواية تظهر لنا الشخصية المهمشة من خلال شخصية رفيق الطفولة **لعبد المالك عزيز** أي صديقه في الحي و هو معروف شغفه الشديد لكرة القدم و هو ذا مستوى علمي متدني ثانوي الذي لا يؤهله للعمل في مناصب راقية مما أدى به إلى التفكير في الهجرة الغير الشرعية، هرباً من وضعه الاجتماعي و النفسي الخانق لأن الهجرة الشرعية ليست متاحة للجميع، بل منحصرة لدى طبقات معينة من المجتمع "كان من يستطيع السفر هم فقط، أبناء العائلات الغنية و ميسوري الحال، و أبناء الوزراء تفتح لهم باب الهجرة على مصراعيه" (2)، و لو نتمعن في جوهر هذا المقطع نجد أن بمقدور الشهادة العلمية أن ترفع من قيمة و كرامة حاملها، و قد تمنح له فرصة السفر بطريقة يسيرة، هذا ما تفتقر إليه شخصية هاوي كرة القدم ذو مستوى علمي محدود.

في الرواية نجد بروز شخصية ثانية مهمشة وهي شخصية **سمير عمران** الأستاذ الجامعي الذي لم يتمكن من مناقشة رسالته "كنت أعرف **سمير عمران** لأنه درسي لمدة ثلاثة شهور، و أنا في سنتي الأخيرة بالجامعة، و هو لم يكن قد ناقش رسالته بعد و التي لن يناقشها أبداً" (3)، و يبين لنا أن طبيعة **سمير عمران** لا تميل إلى الصدام و لا المواجهة، و كل هذا الوضع كان قاسياً على نفسيته الهادئة دائماً كأنه يملك بداخله عنف السلب المدمر، تراثاً من الخيبات و الهزائم المنكرة و التي تجعله في النهاية غير قادر على المواجهة، و حتى مع الورقة البيضاء يجد صعوبة كبيرة في تحديدها، كما قال لي مرة " الورقة البيضاء هي أكبر عنف على الكاتب مواجهته بشراسة، إمّا أن تخضعها

(1) المرجع السابق، ص ن

(2) بشير مفتي: غرفة الذكريات، ص 26.

(3) المصدر نفسه، ص 53.

أو تنتصر عليك، وأنا غالب الوقت أنهزم معها" (1)، وإذا أمعنا النظر في هذا المقطع نجد أن شخصية سمير عمران شخصية مهمشة و نفسية ضعيفة فهو لا يستطيع حتى مواجهة الورقة البيضاء رغم ثقافته الواسعة جدا لكن يبدو أنه عاجز على استثمارها وهذا سبب كافي في تهميشه و لجوئه إلى الحانات للشرب لنسيان الواقع و العيش في الخيال و معاناته لم تكن في هذا المجال فقط فهو يعاني أيضا من الفقر الذي لم يسمح له بالهجرة لقوله "أصدقك القول في هذا البلد كل شيء مؤلم، حتى إنني مررت أفكر في الهجرة... لكن هذا الكلام يبدو مستحيلاً بالنسبة لشخص مسؤول عن عائلة فقيرة عليه أن يعمل ليعيلها ... الفقر مذلة" (2)، في هذا المقطع يظهر لنا أنه ليس إنسان أناني يفكر في نفسه فقط بل رغم كل معاناته إلا أنه يفكر بمصير عائلته أيضاً، إلا أنه وجد حلاً ينسيه بعض همومه ألا و هو اللجوء إلى الشرب في قوله " إذن لنشرب و ننسى هذا الخراب الذي أصلا عندما أمعن التفكير فيه أصاب بيأس قاتل... أشعر كأنني فأرة تجارب موضوعة في متاهة، بهدف إتعبها يوماً في البحث عن طريق النجاة ثم تموت دون أن تصل إلى فتحة الخروج" (3)، ونلاحظ من خلال هذا المقطع إن هذه الشخصية تتهرب من الواقع الذي تعيشه من خلال الشرب لأنها عندما تكون واعية تصاب باليأس قاتل.

3.2 المثقف الديني وعلاقته بالمؤسسة الدينية

هكذا نتوصل إلى النوع الأخير وهو المثقف الديني وعلاقته بالمؤسسة الدينية إن مصطلح "المثقف الديني" هو أكثر تخصصية من مصطلح المثقف العام، وهو يشير إلى نوع محدد من المثقفين الذين يعتقدون بأحقية الحكم الديني، وبيشرون بأولوية الدين وأحقية الفكر الديني الإسلامي على أي فكر آخر، ويعد المثقف الديني "صاحب المشروع أو الأيديولوجية، الذي يضطلع بوظيفة التبشير بفكرة معينة يراها الأكثر صواباً ويحاول أن يسيطر على جماعته ويقودها" (4).

(1) المصدر السابق ، ص 55

(2) نفسه ، ص 56-57.

(3) نفسه، ص 108

(4) هويدا صالح: صورة المثقف في الرواية الجزائرية، ط1، 2013، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ص68.

في رواية غرفة الذكريات لبشير المفتي نجد أن شخصية المثقف الديني تتمثل في عبد المالك عزيز الذي يعتبر من عائلة محافظة وقد تربي على هذه الأصول منذ صغره إلا أن في فترة معينة فقد تخلى عن الأمور الدينية وذلك بسبب مطالعته للروايات فقد ادمن عليها مما أدى به إلى الانتهاز ولكن ذلك لم يمنعه من إعادة علاقته مثل أول مرة لقوله: " لأكن صريحاً مرةً أخرى وأخبركم أنه حتي علاقتي بالدين عادت من جديد إلى الواجهة من خلال سمير عمران عن التصوف والمتصوفة، وكيف أنهم ارتقوا بالدين إلى أعلى مرتبة روحية ممكنة " (1)، ومن كل هذا نجد أن عبد المالك عزيز قد انضم ضمن الجماعة الدينية "سأعترف أنني في الثمانينات كنت أكثر ميلاً لهؤلاء، أو أشعر أنهم يعبرون عن شيء حقيقي في واقع الناس، وليس نابتاً من فراغ" (2)، وهذا يوضح لنا أن عبد المالك عزيز لا يريد أن يكون من الذين يتصفون بمظاهر تدين مغشوشة، لا تمس الجوهر الروحاني العميق للإنسان وذلك يظهر من خلال هذا المقطع: " واعتقد أن الإنسان يمكنه أن يصلي على طريقته ... المهم أن يقبل الله صلاته، لأنه يؤديها بصدق وإخلاص، وليس نفاقاً أمام الناس " (3)، أي بالنسبة إليه الصلاة تكون بين الإنسان وخالقه وليس لشيء آخر.

فهو يرى أن هذا الكلام موجه لنفسه وليس لغيره، أي هو لا يفرض على الغير ما يفكره هو، فهو يرى أن كل حرّ في اتباع هذا الدين ومراعات تفسيره فعندما يلتقي بالجماعات الصغرى، نجده يستمع إليهم و ينقد إلى ما يقولونه، وكان ما يجلبه إليهم هو الجانب الاحتجاجي على الواقع المعاش، والتحريض المستمر على ما تفعل السلطة الحاكمة في الشعب، ما نجد أيضاً أن عبد المالك عزيز أخذ يصف لنا بعض الأعمال التي تقوم بها هذه الجماعات فمثلاً نجدهم يقومون بتنظيف الحي مرة في الشهر، وكما يقومون أيضاً بتقديم دروس خصوصية لطلبة، و توزيع الحجاب مجاناً على الفتيات إذ نجد أن الفتيات يقبلن به بشكل غريب، إلا أن الأمر لم يكن مرتبط حينها بالدين فقط.

(1) المرجع السابق، ص ن

(2) نفسه، ص 80

(3) نفسه، ص 87

بل هناك رغبة في الزواج من جهة، فلقد كان هناك تشجيع للزواج من الأخوات المتحجبات في الحي.

ضف إلى هذه الجماعة فكان يزورنا مجاهد من أفغانستان، فيلقي علينا خطبة عصماء، دون أن يخبرنا أنها مقتبسة من كتاب عبد الله عزام " فيطرب آذاننا بأحاديث الرسول الكريمة و حلاوة العيش في تلك الأرض الطاهرة...لولا أن الله كان يبيث في ارواحهم و صدورهم إيمانًا عظيمًا يثبت أقدامهم و خطواتهم فيصمدون و لا ينهارون " (1).

من قوله هذا نجد أن عبد المالك عزيز كان لا يفوت الخطب فكان يستمتع إليها ويستفيد منها، حيث يرى أن إيمان المرء هو الذي يؤهله لتلك المرتبة العليا و التي لا مرتبة بعدها إلا أن الفوز بهذه المراتب يتطلب العبادة و الصبر و التخلي عن الانحرافات التي تغري الفرد.

الشخصية الثانية في هذا النوع هي شخصية محمود الذي أصبح مرشدًا بعد أن أوقع المرشد الذي سبقه في فخ نصبه له، وأمًا بالنسبة للمرشد السابق فهو كان في ريعان الشباب عندما أنتخب عليه، بعد أن تناظر مع مجموعة آخرين يطمحون لتلك المرتبة في أمور الدين، إلا أنه كان أكثرهم حفظًا للقرآن و السنة، واستطلاعًا على كتب التراث و غيرها. (2)

فيما يخص محمود" صحيح أن محمود لم يسر في الطريق الذي سارت الجماعات العنيفة بعدها، ولا أدري كيف تراجع يوم بدأ الصدام مع السلطة أيامها، و غير خطابه الديني معتبرًا أنها فتنة مذمومة ستجر الإسلام و المسلمين إلى ويلات لا قبل لنا بها " (3) ، هذا المقطع يدل أن شخصية محمود ليست شخصية حقيقية فهو ينقلب حسب تقلب الأمور مما أدي به إلى الانسحاب للخلف وهذا يتبين من " تذكرت نظرتي من البداية أنه قائد مزيف ويمكنه أن يتلون مع كل التقلبات والأحوال " (4).

(1) المرجع السابق ، ص 88.

(2) المرجع نفسه ، ص 84.

(3) نفسه، ص 87.

(4) نفسه، ص ن

اطلاعا على كتب التراث و غيرها، إلا أنه معروف بنقطة ضعفه الوحيدة، و هي حبه لأمرأة في الحي، ألا أنه كان يكتف على ذلك ، و يحفظه كسر لنفسه، لأنه كان يعلم أنه ستكون هناك فضيحة إن سمع الجميع، فهم لا يرحمون، و كيف ستكون نظرتهم إليه و برغم كتمه هذا، إلا أنه كان يكتب لها رسائل و يرسلها لها مع أختها التي كانت تدرس عنده، إلا أن محمود كان يبحث له عن أسباب التي تجعله يتولى منصبه، و في إحدى الأيام وقعت رسالة من إحدى الرسائل في يده، فقد وجد محمود هذه الرسالة الوسيلة الوحيدة التي تلبى غاياته، إذ بها هدده فطلب منه التتحي أو الفضيحة، فقبل الإمام التتحي و تخلى عن المسجد نهائياً و هكذا وصل محمود بتفكيره الرهيب إلى المنصب الذي كان مبتغاه.

من خلال هذه المقاطع يظهر أمامنا الوجه الحقيقي للمثقف الديني و علاقته بالمؤسسة الدينية و هو أنه يلجأ إلى الانضمام إلى المؤسسة من أجل قضاء مصالحه فقط دون البحث في أمور الدين و منه يظهر طموح محمود الذي كان مستعداً أن يكون مع جميع الأطراف التي تنتصر، و تسمح له أن يكون في المقدمة " رأيته على شاشة التلفزيون، و كان قد شذب لحيته و ارتدى بدلة عصرية، عرفت أنه عين في منصب وزاري" (1).

و في هذا الصدد أيضا نجد هناك من تذر من هذا السلوك لقوله: " لهذا السبب ارغب في أن يتهدم هذا النظام من أساسه... صحيح أن تيار الدين السياسي لن يرحمونا نحن أيضا و لكن سأفرح برؤيتي سقوط هؤلاء الكلاب" (2) ، من هذا القول يتضح لنا أن الجميع ضد هؤلاء الأصوليين و لا يريدون أن ينتصروا مهما كانت الظروف لأنهم يرغبون في سفك الدماء، و هذا ما زاد في قلق المثقفين الجزائريين فهم يرون أن انتصار المتدينين في الانتخابات لا يجزي نفعاً و لا يغير شيئاً ، فالعكس فهم يبحثون فقط على سبيل لهدم البلاد، فهم في تفكيرهم هذا نجدهم يذهبون في طريق المعاكس للمثقفين فمثلا

(1) المرجع السابق، ص 91.

(2) المصدر السابق، ص 94.

نجد قول المحامي: " نعم المشكل في التخلف بالذات... نحن نتحدث عن السياسة و الحكم، و هؤلاء المجانين الذين يريدون حكما باسم الله و هم يعرفون أن مشاكلنا لا علاقة لنا بالسماء، بل بعجزنا عن تدبير شؤون حياتنا الدنيوية فقط... " (1)، وفي قوله هذا نجد أن الفئات المثقفة الدينية نوعان هناك من مع الدين و هناك من يعارض و يرى أن المشاكل التي تمر بها البلاد و هذا العنف و الوضع المزرى لا يحل بأساليب الدينية بل هناك أساليب سياسية يجب الاعتماد عليها دون التركيز في الدين، فهو يرى أن تفكيرهم يذهب في هذا الاتجاه... المصلحة العامة للبلاد مهددة، لكن مصلحة الجماعة أظن سيعرفون كيف يحافظون عليها. إن مشكالتنا ربما هي أننا لم نعرف قط أين نتوقف المصلحة العليا للبلاد، و أين تبدأ المصلحة الخاصة " (2)، هنا أيضا نجد أن المحامي يرى أن كل يهتم بمصلحتهم و مصلحة البلاد تبقى أمر لا يهم فكل يتحمس على الحفاظ على مصالحه الخاصة، أن كل ما في البلد ملكهم دون التفكير في الشعب و من خلال كل هذه التصرفات نجد أن هناك أيضا من يمقتهم و يرى أنهم يتآمرون من اجل أن يتركوا بلدهم متخلفا، إلا أن الأمر يبقى معلقا إذ أن ليس هناك أي فائدة في المقت أو الحديث عنهم عندما لا يستطيع أن يغير شيئا في سير الأمور.

4.2 المثقف و رهان بناء المجتمع

إن الصورة المثالية التي جعلت المثقف شخص لا يتحدث إلاّ بالمثلى العليا و الكاملة و القيم الصحيحة و المبادئ ذات الأهداف السامية هي الصورة التي يراها الكثير. فالمثقفون هم مصابيح نور، الذين على ضوء الفكر و السلوك القويم يرشد المجتمع الذي يتلمس طريقه نحو التحرر و العدالة و التطور بتمكنه من العلوم و الفنون و الآداب.

إنما للمثقف دور هام في المجتمع، الذي يجعله في أسفل بقعة ضوء مسلطة عليه و على تصرفاته و حركاته، و ما يجعل ما ينتجه إما يقود به جماعة، أو يقع تحت

(1) المصدر السابق، ص 96.

(2) المصدر نفسه، ص 98.

مجهر آخرين، و لما له من مكانه بالغة الأهمية في عملية التغيير في أي وسط، و كونه القدوة للكثير، ألزمه بأن يكون هناك رقيب عليه داخل نفسه يحسب فيها كل خطواته. (1)

فالمثقف مُهياً نفسياً و عقلياً لبناء مجتمع صالح عادل راقٍ متطور، لأنه مُتتورٌ و مُتحررٌ من قيود الجهل، و مُتعافٍ من أمراضه كالتعصب و الأنانية و العدوانية و لو لم يكن هكذا لما بحث و سهر و تعب شهورا و أياما يصقل بعقله و فكره ، يبحث عن الحقيقة هنا و هناك يواجه الباطل في معسكر الجهلاء، ليحترق كالشمعة، يضيء بعلمه و ثقافته طريق المجتمع.

فبشير مفتي أعطى صورة كاملة تتمثل في شخصية عبد المالك عزيز الذي عنى الكثير من ويلات مجتمع عكس طريق حياته و أحلامه، رغم أن المثقف يرى نفسه مهياً لإصلاح هذا المجتمع و لو بإعطاء أفكار بسيطة في قوله: " كنت غارقاً في تساؤلاتي التي اعتدت عليها دون أن اقدم على خطوة واحدة نحو الكتابة التي أريدها. و كلما أقدمت يستولى عليا ضجر و استياء بل و أحيانا حقداً أعمى و مرير، على تلك الفترة المؤلمة من تاريخنا. " (2)

لقد عانى المثقفون عبر التاريخ من شرور الجهلاء والحكام الطغاة الرجعيين في دهاليز الجهل و التخلف، فقاوموا الظلم و الظلام بعلمهم و معرفتهم بقوانين الطبيعة و المجتمع و التطور.

لا يمكن للإنسان أن يقف ضد الأشرار و السلاطين الطغاة، و يناصر الشعب و يتبنى قضاياها العادلة ، و يطالب بحقوق الانسان حينما كان، إلا إذا بلغ به الوعي إلى مستوى يجعله لا يتحمل الظلم و الظلام ، ليس على نفسه فحسب بل حتى على الآخرين أيضا فيطلق صرخته بوجه الظلم و يقرع نواقيس اليقظة لينتبه إليه

(1) عبد الفتاح العلمي: واقع و مستقبل المثقف العربي في ظل التحديات التي تعيشها البلاد العربية، تحديات المجتمع العربي، ص 162

(2) بشير مفتي: غرفة الذكريات، ص 17

المغفلون و يلقي بأفكاره النيرة ليهدي من ضلله الظلام فيتبعه المجتمع. هذه الفئة، حملت على عاتقها مسؤولية التطور و إنقاذ الانسان من شرور التخلف.(1)

هذا ما لا نجده عند عبد المالك عزيز الذي كان يريد تحسين ظروفه المعيشية بالحصول على منصب عمل لدى السلطات العليا، لكن ظروفه العائلية لم تسمح له و لكل من لديه صلة بالكتابة أو الكاتب كون الراوي صديق الشاعران " جمال كافي " و " سمير عمران " اللذان تلاحقهما السلطة و حتى الجماعات الدينية المتطرفة، فنجد في الرواية هذه الحوارات تحدث في مكان واحد هو حانة عمي مزيان أين يلتقي الأصدقاء الثلاث حيث وجدوا مرة محامي سمع ذلك الحوار الذي دار بينهم. فقال سمير عمران: " المواجهة قادمة لا محالة إن لم يكن بصف خلافت منذ 1962، ترك كل شيء على حاله، الصراعات القديمة تطفو على السطح، القوة حكمت و انتصرت، و كانت دائما تحكم و تنتصر، لكن المهزومين ينتظرون الفرص للانتقام و تصفية الحساب "(2) .

فالصراعات التي تدور في المجتمع في تلك الفترة ليست جديدة بل كانت حاضرة منذ 1962، أي بعد الاستقلال، أصبحت صراعات سياسية و اقتصادية لأن العالم ككل، و خاصة العالم العربي كان في دوامة هالكة، فنجد عبد المالك عزيز يطرح سؤال: " أين المشكل بالضبط؟ ، إنني أحس دائما أن هنالك من يريد أن نظل متخلفين أن نبقى في هذه النقطة البائسة من الحياة، و أن لا نتطلع إلى الأحسن." (3)

رغم التضحيات الجسام، استطاعت تحرير المجتمع الانساني من عهود العبودية و شيدت صروح العدالة و سنت القوانين، و انتزعت الحقوق و أوصلت البشرية إلى ما هي عليه اليوم من تقدم و رقي.

لو لا تلك الجهود و تلك التضحيات الجسام لظل حال البشر كما كان عليه في عهد الرق و العبودية. لكن لا زال ثمة ظلم و حقوق مهضومة و هنالك الكثير على

(1) صحيفة الشرق المطبوعة العدد رقم (1255) صفحة (12) بتاريخ (2015/05/12)

(2) بشير مفتي: غرفة الذكريات، ص 96

(3) المصدر نفسه، ص ن

المتقف أن يعمله و خاصة في مجتمعاتنا التي تعاني من بقايا عهود الظلم و التخلف و التفرقة و التعصب و العنصرية.

إن جنود الظلم و الظلام و أعداء الثقافة و العلوم و الفنون لا يستسلمون بسهولة بل يسيرون بعناد على عكس التطور، و يحاولون إيقاف عجلته بل تحطيمها. إلا أن تراخي المتقفين و إهمالهم لواجبهم الوطني و الانساني و انشغالهم بمظاهر الحياة و الاغراءات المادية يؤدي كل ذلك إلى تأخير بناء المجتمع، ذلك البناء الذي يتمناه المتقف، مجتمعاً متأخياً يسوده الأمن و السلام و المحبة و مشاريع العمران و الصناعة و الزراعة، لكي نقطع دابر الفقر الذي هو سبب لكل المشاكل الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و حتى الثقافية حيث ذكر في الرواية أن " المشكل في التخلف بالذات ... نحن نتحدث عن السياسة و الحكم، و هؤلاء المجانين الذين يريدون حكماً باسم الله، و هم يعرفون أن مشاكلنا لا علاقة لها بالسماء" (1)، و المشكل لا يخلص هنا فقط، فالمرأة هي العنصر الأساسي التي مسّتها الخطورة سواء من طرف السلطة أو من طرف تلك الجماعات الدينية في قوله: " يكفي أن نتحدث عن موضوع المرأة مثلاً حتى نقشعر أبداننا من وضعيتها و من حالتها في بلادنا." (2)

لكن الذين سببوا لهذه الصراعات هم الذين أعطوا للحركة الدينية تأسيس الحكم في تلك الفترة الدامية " الذين قرروا في الكواليس أن يعطوا الحركة الدينية الحق في تأسيس أحزاب سياسية، يعني كانوا يعرفون إلى أين ستقودنا هذه الحالة مع نسبة الأمية الكبيرة و حكم القبلية و ذهنيها المتسلطة.... ماذا تنتظر؟ " (3)

يجب أن يكون للمتقف الدور الريادي في عملية البناء و التنوير و يتطلب الأمر شجاعة للصدود أمام المخربين و المفسدين و أهل الرشوة و التعصب و الجهلاء عموماً.

(1) المصدر السابق، ص ن

(2) المصدر نفسه، ص ن

(3) نفسه، ص 97

فيجب على المثقف أن يبني مجتمعه في كل الظروف و في كل مكان ، ينشر السلام و المحبة و الأخوة و الروح الوطنية و الانسانية. لأن المثقف و العالم و الفنان هو ملك المجتمع و الانسانية و همهم الوحيد يكمن في نشر الأمن و السلام و المحبة و بناء مجتمع تسوده العدالة و الاخوة و السعادة.

فإن هذا يبين مدى الدور المحوري الذي يضطلع به المثقف اجتماعياً، لما يملكه من وعي اجتماعي يمنحه رؤية المجتمع و قضاياها من زاوية شاملة، و لما له من دور اجتماعي ينهض فيه و يشكل الفعل الذي يؤكد القيم السليمة، و يغرس القيم الإيجابية بدلاً من تلك السلبية.

و بهذا يتبين لنا جسامة المسؤولية الملقاة على عاتق النخب المثقفة، فإن دورهم في تحريك الراكد، و زحزحة الجامد يحتاج إلى ظروف تنهياً لهم من خلاله فرص مزاوله سلوكه الثقافي منتجاً أو مؤكداً لفعل أو مشروع يتقيأ أحد جوانب رسالته كمثقف.

الخطمة

الختام

إن رصد صورة المثقف في عمل روائي معين ليس بالأمر السهل أو الهين إذ يتعين على الباحث سير أغوار الرواية الجزائرية المعاصرة في إطار زمني محدد حتى يتسنى له ربط المعطيات بسيرورة الأحداث. و عموماً فقد أفضى البحث إلى نتائج كثيرة يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

- استطاعت الرواية التسعينية في الجزائر من مواكبة الراهن من الاحداث فرصت تفاصيل الواقع الجزائري المتأزم و الذي انعكس بطريقة مباشرة على المثقفين لكونهم يشكلون زبدة المجتمع فكرياً و ثقافياً.
- جسدت رواية غرفة الذكريات أطوار الأبوية الممارسة على المثقف ابتداءً من السلطة الأبوية مروراً بالسلطة الحاكمة و انتهاءً بالسلطة الدينية.
- مكنت الأحداث المعاشة في فترة التسعينات من فرز أصناف عدة من المثقفين داخل المجتمع فمنهم المثقف السلبي و المنطوي الذي أدار الظهر للمجتمع فغرق في العبت و الحنين إلى السنوات الماضية التي سبقت الأزمة، و من جهة أخرى أطل جيل جديد من المثقفين سيشرفون المستقبل بوعي و بصيرة قصد تحقيق التغيير المنشود.
- لقد عكست مختلف الرهانات التي واجهت المثقف في فترة التسعينات تولد نزعة هروبية عن الواقع أدت إلى استفحال ظاهرة الهجرة إلى الخارج هروباً من الأوضاع المتردية.

قائمة

المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

(1) سورة الأحزاب.

المعاجم

(1) ابن منظور: لسان العرب، مجلد 4، بيروت، 1988

(2) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، توزيع المكتبة الشرقية، بيروت، 2000.

المصادر

(1) مفتي بشير: غرفة الذكريات، ط1، منشورات ضفاف و الاختلاف، لبنان، 2014.

المراجع باللغة العربية

(1) إدريس سماح : المثقف العربي و السلطة، بحث في روايات التجربة المنصرية، دار الآداب، ط1، بيروت 1992.

(2) الأحراش نفسية: كتابات امرأة عايشة الأزمنة، منشورات جمعية المرأة في اتصال الجزائر، ط1، 2002.

(3) الأعرج واسيني: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري 1986.

(4) الجابري محمد عابد : المثقفون في الحضارة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط2، كانون الثاني(يناير)، 2000، بيروت.

(5) الشاذلي عبد السلام: شخصية المثقف في الرواية العربية المعاصرة، دار الحداثة ط1، بيروت، 1985

(6) الشيخ محمد: المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي والفرنسي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

(7) العروي عبد الله: ثقافتنا في ضوء التاريخ، دار التنوير، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1983.

(8) بلعلی آمنة: المتخيل و السلطة، من المتماثل إلى المتخلف، دار الأمل و النشر للتوزيع، د ط، دت.

(9) بوفلحة غياب : القيم الثقافية ، دار الغرب للطباعة و النشر ، ط1، 1998،

- (10) حبيبة شريف: الرواية و اعنف ،دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ،عمان الأردن ط 1، 2009
- (11) حرب علي: أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط3، 2004.
- (12) سنقوفة علال: المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2000.
- (13) شرابي هشام: المثقفون العرب و الغرب، دار النهار، ط2، بيروت ، 1981.
- (14) عاطف أحمد فؤاد: المثقفون و السياسة، دار المعارف ابن خلدون ط1، القاهرة 1980.
- (15) عبد الله العنزي سعاد: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الفراشة للطباعة و النشر الكويت، ط 1، 2010.
- (16) عيد حسين: المثقف العربي المغترب، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999.
- (17) مصايف محمد: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام، الجزائر د ط ،1983.
- (18) موصلي أحمد: جذور أزمنة المثقف الوطن، ط1، سلسلة حوارات لقرن جديد، دار الفكر دمشق 2002.
- (19) هويدا صالح: صورة المثقف في الرواية الجديدة، رؤية لنشر و التوزيع القاهرة، ط 1 2013.

المراجع المترجمة

- (1) بريم روبيرت: المثقفون و السياسة، تر: د. عاطف أحمد فؤاد، دار المعارف، ط1 القاهرة، 1985م.
- (2) بن النبي مالك: مشكلة الثقافة، تر : عبد الصبور شاهين، دار الفكر ،ط4 ،الجزائر 1984.
- (3) سارتر جان بول: دفاع عن المثقفين: تر: جورج طريشي، منشورات دار الأدب بيروت، ط1، 1973م.

المجلات و الدوريات

- (1) الزيات عبد الحليم: المثقفون المصريون بين جدليات النشأة وإشكالية الفعل، مجلة الوجد، العدد 66 مارس 1990.
- (2) العلمي عبد الفتاح: واقع و مستقبل المثقف العربي في ظل التحديات التي تعيشها البلاد العربية، تحديات المجتمع العربي.
- (3) ابن الوليد يحيى: الرواية الجديدة في المغرب و رهان التشابك مع التحولات الاجتماعية مجلة تبين للدراسات الفكرية و الثقافية دوحة 2012، العدد 2، المجلد الأول.
- (4) بيان الثقافة " مجلة "، ع 120، 2002/04/28.
- (5) حافظ صابري: الرواية العربية و التحولات الاجتماعية و الثقافية، مجلة تبين للدراسات الفكرية و الثقافية دوحة 2012، العدد 2، المجلد الأول
- (6) دراج فيصل: دراسات المثقف الفلسطيني و قراءة الصهيونية.
- (7) صبيحي كاميليا: بعض ملامح العلاقة بين الكتاب و السلطة في مصر منذ عام 1952، مجلة النقد الادبي فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003 العدد 61.
- (8) صحيفة الشرق المطبوعة، العدد رقم (1255)، بتاريخ 2015/05/12.
- (9) منيف محمد: المثقف و السلطة، مجلة الزمان، ع 1287، الرياض، 05/2008/2008.

الرسائل الجماعية

- (1) حمدون سعاد: صورة المثقف في رواية بشير مفتي: مذكرة متطلبات شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، 2009/2008.

فهرس

الموضوعات

كلمة الشكر.....	
الاهداء.....	
مقدمة.....	أ - ب
مدخل :إشكالية لمتقف عند الغرب و العرب	04 - 17
الفصل الأول : في ماهية الثقافة و المتقف	18 - 35
1 مفهوم المتقف.....	19
2 تعريف المتقف.....	21
1.2 لغة	21
2.2 إصطلاحا.....	21
3 صورة المتقف في الرواية العربية.....	24
4 صورة المتقف في الرواية الجزائرية.....	28
5 أنواع المتقفين.....	33
1.5 المتقف الموالي للسلطة.....	33
2.5 المتقف المتمرد.....	34
3.5 المتقف المضطهد.....	34
الفصل الثاني :تحليات المتقف في رواية غرفة الذكريات.....	36 - 56
1 تمثلات المتقف في رواية بشير مفتي.....	37
2 أنواع المتقفين في رواية غرفة الذكريات.....	43
1.2 المتقف الإنتهازي.....	43
2.2 المتقف المهمش.....	46
3.2 المتقف و علاقته بالمؤسسة الدينية.....	48
4.2 المتقف و رهان بناء المجتمع.....	52
خاتمة	58
قائمة المصادر و المراجع.....	59
فهرس الموضوعات.....	62